معركة بوكرن ٥ مايو ١٩٢٤

إن وجاهه الذي لم يعرف حتى ذلك الحين إلا الإنتصار، لايمكنه أن يبقي على إخفاقه يوم انواذيبو، لان هيبته لدى الغزاة ستتأثر كثيرا، ولم يتمكن من تأمين غنائمه التي غنم يوم الميدور إلا بصعوبة، لذلك نزل مرة أخرى على رأس جيش من زهاء ٨٠ بندقية لمحاولة الاستيلاء على مفارزنا الجمالة، التي تنتجع في منطقة بوكرن.

وفي يوم ٥ مايو، في الصباح الباكر، احتل مخيما من البيضان يقع على بعد ٢٠ كلم من زريبة الجمالة، وانتزع منهم معلومات تفصيلية محددة حول موقع هذه الجمالة، واستمر في المسير وقتل في الطريق اثنين من الحرس البيضان كانا يستطلعان، مما مكنه من الاقتراب دون أن يكشف سره، مستفيدا من ثنيات الكثبان، حتى وصل إلى كيلومتر تقريبا من مواقع الحرس في مرعى كتيبة الجمالة.

وانقسم الجيش إلى مجموعتين، كلفت إحداهما بمهاجمة الحرس في المرعي، بينما تستولي الأخرى على الجمال. واظهر القناصة الذين هم في الغالب شباب ـ لم يسبق أن شاركوا في الحرب ـ رباطة جأش، وبعد تراشق مستعر، حمل عليهم العريف *La Tournerie* الذي يقود القناصة، بالحراب وأرغم العدو على الفرار، ولكن العدو اقترب مستخدما الميدان.

وتمكنت المجموعة الثانية أثناء ذلك من الاستيلاء على بعض الجمال، وسرحتها نحو الشرق، فنظم النقيب *Thoine* قائد كتيبة الجمالة عملية المطاردة، ولحقوا بالهاربين في نهاية اليوم، وأرغموهم على المجابهة. وخلال المعركة التي كانت مستعرة، سقط قائد الغزاة وجاهه بطلقة رصاص في أم رأسه، وكان ذلك مؤشر تبدد العصابة وهروبها في كل اتجاه تاركة كل غنائمها بعد ما فقدت في هذا اليوم ٨ قتلي و٢٩ جملا وثلاثة مدافع سريعة الطلق.

وفقدنا نحن أربعة من الحرس البيضان، قتلوا و١٦ جملا قتلت أو ضلت.

كانت نتائج هذه العملية مهمة للغاية وخاصة من الناحية المعنوية، فخبر مقتل قائد الغارة المشهور وجاهه أشاع انطباعا بالطمأنينة في كافة موريتانيا. ومن الناحية العسكرية فان هيبة كتيبة الجمالة وسمعة قناصتنا الذين لم يصابوا إلا قليلا بعد عملية اشريريك المؤسفة، شهدت تزايدا بنسب معتبرة، والقناصة الشباب أصبحوا أوثق بأنفسهم والغزاة بالمقابل لقنوا درسا سيعطي نتائجه لا شك.

معركة لكدم ٢٣ أكتوبر ١٩٢٤ - خلال شهر أغسطس وصلت معلومات إلى آدرار تفيد بأن غارة تتشكل شمال شرق كدية الجل، وأنها تستهدف المنطقة الواقعة بين شنقيط وتكانت، وربما الحوض ومنطقة تنبكتو.

في بداية اكتوبر علم قائد دائرة آدرار بأن هنالك جيشا غادر أناجيم متجها إلى تكانت، فأرسلت فورا مفرزة من الجمالة من ستين بندقية لتقطع عليه الطريق. واستبقى الملازم *Chalmel* قائد الكتيبة الثانية للجمالة ـ الذي كان ينتجع في لكدم في حفرة وادان ـ معه ستين بندقية.

وفي يوم ٢٣ اكتوبر، في الصباح الباكر هوجمت المفرزة التي كانت ذاهبة في حراسة المنتجعات بعد ذهابها من الزريبة بقليل، من قبل جيش من مائة وخمسين بندقية، كانوا يتخفون خلف باقات من شجر أوراش، فأبيدت هذه المفرزة بكاملها تقريبا، إذ أهملت التغطية من مسافة كافية، فقتل كافة أصحاب الرتب، ومن بينهم عريف أوروبي، وقتل من القناصة ثمانية وجرح سبعة، وهرب اثنان من حرس البيضان، وقام الباقون بمساعدة الرعاة على إعادة القطيع إلى الزريبة.

وبعد ما استولى المهاجمون على الأسلحة والذخيرة التي بقيت في الميدان، انقسموا إلى ثلاث مجموعات، وبدأوا في اتجاهات ثلاثة مختلفة، السير نحو الإقتراب من الزريبة.

واقتربوا مستخدمين الميدان بروعة، ووجهوا إلى الزريبة نارا كثيفة لا تسمح للمدافعين بالانتقال إلا زحفا، واقتربوا شيئا فشيئا. وتمكن اثنان من إحدى المجموعات من القفز في زاوية المربع التي أخلاها اثنان من حرس البيضان لجئا إلى الخلف، فقتل المهاجمان عن كثب. وتعطلت الرشاشتان والمدفع الرشاش والمدفع ٨٦

المخصص لإطلاق *V.B* قذف بصعوبة وانفجرت فوهة البندقية الكبيرة المركبة على البندقية الصغيرة، وعلى عكس ذلك فقد أحدثت القنابل اليدوية أثرا كبيرا في معنويات المهاجمين. وبعد ساعتين من القتال المستعر هرب المهاجمون ولكنهم انسحبوا في نظام، يغطون انسحابهم بإطلاق النار.

أثناء ذلك كانت الجمال التي أعيدت إلى الزريبة، والتي تركها الرعاة غير مقيدة قد أخذت طريقها إلى المراعي زرافات حيث توجد جمال الغزاة، فانتهز البيضان الفرصة لتجميع أكبر عدد منها وساقوها معهم، مما حرم الجمالة من مطاياهم وجعل المطاردة مستحيلة.

كانت خسائرنا في هذه العملية: ١٧ قتيلا من بينهم عريف أوربي و١٤ قناصا و٢ من الحرس و١٥ جريحا من بنيهم ملازم واحد و١٢ قناصا واثنان من الحرس. وترك العدو ٩ قتلي واثنين جرحي جراحا مثخنة في جنبات الزريبة، وهناك بعض الجرحى الذين تمكنوا من اللحاق بالغزاة عند انسحابهم.

وفقدنا كذلك ١٤ بندقية صغيرة كانت لدى مفرزة حراسة المراعي، و٢٠٠ جمل ساقها المنشقون، وقتل زهاء العشرين من الجمال.

وتمكنا من الحصول على بعض المعلومات حول الغزاة من جريحين مثخنين من البيضان، وجدا في الميدان قبل أن يموتا،

وصرحا بأن عدد الغزاة تجاوز ١٥٠بندقية، وأحد قوادها ولد كركوب أحد حراس جمالتنا القدماء وكان قد تمرد، وكانت العصابة مؤلفة من اركيبات وحراس الجمالة المتمردين، مناصرين سابقين لوجاهه، وزهاء الخمسين من تلاميذ الولي ولد ماء العينين.

هذه المعركة التي أوشكت خلالها الوضعية أن تكون مشبوهه بسبب تعطل الأسلحة الاوتوماتيكية، تبين مرة أخرى مخاطر استخدام هذا السلاح في بلاد الاتربة وضرورة عدم إعطاء جمالتنا إلا الرشاشات والمدافع الرشاشة في حالة جيدة، والمحافظة عليها بالصيانة المستمرة، وتظهر فوق ذلك بأنه من المستعجل تزويد فرقنا المتنقلة التي تستخدم البنادق الخفيفة كسلاح فردي بقراب من صفيحة الفولاذ تستخدمه الخيالة لمواءمة فوهة *VB* مع الأسلحة القصيرة.

وانتهت سنة ١٩٢٤ بمحاولة استيلاء على موقع شنقيط خلال الليل؛ من قبل عصابة من ٢٧ ناهبا، يقودها إسماعيل ولد الباردي؛ تمكنت من الانسياب خلال النخيل إلى بعد ١ كلم من الموقع، ولما كشف سرها هربت إلى الشمال ونهبت في طريقها حيا من أحياء اركيبات.

* * * *

معركة الطريفية إبريل ١٩٢٥

إن هذه المعركة هي أطول وأحمي معركة تم تسجيلها في موريتانيا، وربما في مجموع أقاليمنا الصحراوية. دامت هذه المعركة على الأقل ثلاثة أيام وثلاث ليال، حوصرت خلالها إحدى كتائبنا الجمالة من قبل جيش يفوقها في العدد ثلاث مرات، ولم ينته القتال بعد حصول خسائر فادحة، وبعد معاناة شديدة من العطش بقرت خلالها كروش الجمال القتلي إلا بعد ما نفدت ذخيرة المهاجمين.

وفي يوم ٢ إبريل في الصباح، بعد ما استنفدت الكتيبة الأولى لجمالة آدرار المراعي الواقعة في ضواحي الزريبة، تحملت نحو الطريفية(٢٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من شار).

عند الساعة السابعة والنصف في الوقت الذي وصلت إلى المنزل الجديد الذي تم اختياره، أشير إلى وجود جيش على بعد ٢ كلم نحو الشمال الشرقي، فأحاط الجيش الذي لم يكن ينقص عن ٣٥٠ بندقية فورا بالكتيبة التي كان عدد الحاضرين فيها يرتفع إلى ٣ ضباط و٤ ضباط صف وعريف أوروبي و١٠٤ من القناصة و٣٠ من الحرس البيضان والمناصرين(١).

واستخدم المهاجمون الميدان ببراعة في منطقة ذات كثبان، وانسابوا من باقة إلى باقة ووصلوا فورا إلى ٢٠٠م تقريبا من

---

(1) النقيب de Girval والملازم La Peyer وضـابط الـصف Beaume والرقبـاء Evain Laharannane وInizau وTeulé والعريف Farene والجندي Vautheman.

أصحابنا؛ التراشق كثيف؛ فالركيبات لديهم هدافون من النخبة ويوجهون الطلقات بدقة، ولكن الرشاشات التي تطلق طلقات متواترة متلاحقة أوقفت تقدم العدو، وكبدته خسائر فادحة. وعند الساعة ١٤ قام النقيب *de Girval* الذي يقود الكتيبة بهجوم مضاد لحماية الحرس الذي اقترب منه العدو إلى بعد ٣٠ م، فارتمي العدو إلى بضعة المئات من الأمتار تاركا خمس جثث في الميدان، من بينها جثة محمد عبد الله ولد عبد الوهاب قائد الجيش. هذه العملية التي تمت بقوة، يبدو أنها أثرت على العدو فانسحب إلى زهاء كيلومتر واحد تقريبا، وتمادي خلال العشية وخلال الليل في إطلاق النار المتقطع.

واستمر خلال نهار يوم الثالث إطلاق نار بهدف الإزعاج، وهبت ريح حارة عاصفة من الشرق دون توقف، وبدأ الإحساس بالعطش. وبما أن مخزون الماء بدأ ينفد فإن الجمالة أصبحوا مضطرين إلى اللجوء إلى ما يوجد في كروش الجمال الميتة عند بقرها من الماء.

واقترب العدو فور غروب الشمس، وكان المهاجمون الذين من بينهم كنا نميز بسرعة العديد من المنشقين، يصيحون بأعلي أصواتهم بالتحريض على الهجوم، ولكنهم لم يحاولوا الهجوم مدهوشين بهدوء القناصة، الذين يردون بالضحك والسباب على شتائمهم ودعوتهم لهم للشرب من الماء البارد، وانسحبوا عند الساعة الخامسة فجرا في الكثبان بعد ما حاولوا الاستيلاء على القطيع دون جدوى.

خلال هذه الليلة أصيب النقيب *de Girval* بإصابة قاتلة في صدره، ولكنه ظل مهتما بالمعركة يسأل عن كل المتغيرات، ويتعلق برفع معنويات الفرقة، تلك المعنويات التي لم تضعف في لحظة من اللحظات.

وفي نهار اليوم الرابع اشتد العطش جدا واستمر إطلاق النار بهدف الإزعاج، وعند الساعة الحادية عشرة ليلا شن اركيبات الهجوم فتلقاهم القناصة بالقنابل اليدوية، ثم تقاتلوا بحراب المدافع، فهرب المهاجمون تاركين على بضعة امتار من شبكة *Brun* جثة منشق من حرسنا القدماء.

وفي صباح الغد غادر العدو المعركة، وانسحب نحو اكريجيت بعد أن نفدت ذخيرته في هذه المعركة المطولة.

كانت خسائرنا كبيرة ١٧ قتيلا من بينهم النقيب قائد الكتيبة و٥ قناصة و١١ من الحرس وستة جرحي وأربعة قناصة واثنان من الحرس.

وترك العدو ثلاثين جثة أمام الزريبة وعدد جرحاه لا يمكن إلا أن يكون كبيرا.

كانت معنويات الكتيبة رائعة، وكان القناصة كما صرح به قائدهم يتمنون معارك جديدة.

وكان النقيب *de Girval* موضع إعجاب وإكبار من الكل لهدوئه وفكره المستقر وشجاعته الصلبة ورواقيته التي برهن عليها

بعد جرحه المؤلم. لقد استغل الميدان كما يقول الرائد *Tranchant* قائد دائرة آدرار. لم يكن باستطاعته التفكير في دحر الغزاة، إنها إذا لعبة الركيبات في نقل المعركة إلى ميدان أكثر ملاءمة، حيث العدد والحركية القصوى للعدو كان يمكن أن تنتهى بالانتصار على شجاعة أصحابنا.

إن هذه المعركة التي لا نظير لها في حوليات الجمالة، لايمكن أن تترك لدينا أي شك في الشعور الذي يغذيه المنشقون اتجاهنا. إنها تمكننا كذلك مرة أخرى من أن نقيم بالقيمة الفعلية إعلانات المصادقة والخضوع الفورية التي تقدمها بصفة دورية من آدرار إلى أندر وفود الشمال إذا كانت مصالحهم تجذبهم إلينا، والتي بمجرد حضورها طالبة السلم، في نفس الوقت تقوم عصابات مؤلفة من أقاربهم وأصدقائهم تجوب أقاليمنا فيصرحون- وبأساليب غير شريفة- بأن هذه الأعمال يقوم بها بعض الشبان الطائشين الملومين من قبل الجماعات وغالبية الناس العقلاء.

وتؤكد هذه المعركة أخيرا ما كنا نفكر فيه من أن الفكر الهجومي الجديد عند المنشقين يجد منبعه في الأحداث التي تجرى في جنوب المغرب حاليا، وأن فرق احتلال التخوم الصحراوية وخاصة فيما يتعلق بموريتانيا تحتاج أكثر من أي وقت مضى لأن تكون قوية ويقظة.

في يوليو نظم محمد المامون أخو وجاهة جيشا في الساقية الحمراء، حيث جمع زهاء المائة من الرجال، وخلال مسيرها نحو

الجنوب اكتتبت هذه العصابة ٢٠٠ منخرطا من مخيمات اركيبات المجاورين لبئر أم اكرين، وبعد ما تعززت العصابة تحاشت لقاء كتيبة الجمالة بحذاقة، ومرت من شمال آدرار وأبادت زهاء الخمسة عشر من الحرس البيضان ومعهم مدفعي أوروبي ليلة السادس عشر إلى السابع عشر لدى آزويك، ونهبت قافلة من الحبوب.

وأعطيت الإشارة فورا بالاستنفار، فانبرى ولد كركوب القائد المحارب من آدرار على رأس ٦٠ من الحرس و٨٧ مناصرا في ملاحقتهم.

فلحق بالعصابة لدى غسرمت وألحق بها هزيمة دامية، وفقد العدو زهاء ٧٠ رجلا قتلي و٣ أسري و٢٩ بندقية و٨٠ جملا وتم استرداد قافلة الحبوب بكاملها، وفقدنا نحن رجلين قتليلين وجرح اثنان . وخلال تلك الفترة كانت القبائل التي زودت هذا الجيش بالرجال تفاوض من أجل الخضوع في اندر يمثلهم محمد ولد الخليل ومحمد إبراهيم ولد لفريعات. إن أحداث الريف فيما يبدو لم تكن قد وصلت إلى آدرار وفي مقابل ذلك ترددت أصداء بأننا دخلنا في حرب أوربية جديدة.

وخبر الرحلة الاستكشافية التي قام بها النقيب *Ressort* نحو تيندوف كان له أثر بالغ على الركيبات وجعل مخيماتهم تتحرك نحو الجنوب.

وخلال منتصف سنة ١٩٢٥ لم تكن وضعية وحداتنا الجمالة لامعة، بل بعيد من ذلك، ففي أعقاب المعارك القاسية الأخيرة كان النقص يتمثل في زهاء ٣٠٠ جمل، وكانت القطعان في طريقها إلى التكون، ولكن للأسف فقد كانت الأمطار نادرة والمراعي قليلة. حاول الرائد *Tranchant* قائد دائرة آدرار استغلال هذه الوضعية الصعبة أحسن استغلال، ذلك أن كل شيء يبعث على توقع المجابهة بين وحداتنا الجمالة وهذه العصابات الكبيرة خلال فصل الخريف القادم.

❋ ❋ ❋ ❋

رحلة النقيب *Ressot* الاستكشافية نحو تيندوف
إبريل – مايو ١٩٢٥

لقد وضع المؤتمر الذي انعقد في مراكش بتاريخ ١٦ يناير ١٩٢٥ أسس عملية مشتركة بين الجزائر والمغرب وموريتانيا في الصحراء الغربية، فمن جهة المغرب كانت هذه العملية قد انتهت بتحضير الوسائل السياسية لإقامة خط ارتباط من وادي درعة أواخر سنة ١٩٢٥ وأوائل ستة ١٩٢٦ بين مفرزة قادمة من المغرب ومفرزة جزائرية.

وكل عملية عسكرية في اتجاه وادي درعه والتافلالت يبدو أنها غير مناسبة في ذلك الوقت.

وعلى العكس من ذلك فإن السلطات في المغرب وموريتانيا كانت تطالب بتدخل الجمالة الجزائريين في منطقة تيندوف مع أول يوم من فصل ربيع ١٩٢٥، ذلك أن حضور مفرزة من الفرنسيين في منطقة ظلت إلى حد الساعة خارجة عن متناولنا يمكن أن يؤثر إيجابيا- لصالح قضيتنا -على الشعوب المنشقة في جنوب المغرب، والتي كانت تحت تأثير عملاء المحاربين من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تجهض غارة من اركيبات يذكر أنها كانت تدبر في تبلبالت منذ مطلع يناير، من خلال التهديد بهجوم مضاد على مخيمات الغزاة أنفسهم.

غادر النقيب *Ressot* قائد سرية اصويره منطقة تبلبالت يوم ٧ إبريل ١٩٢٥ على رأس مفرزة من ١٣٠ جمالا واتبع خط سير تينفوشي، زمول، تيندوف عابرا السلسلة الجبلية واغزيز والهضبة المرتفعة لوادي درعة. وفي يوم ٢٧ إبريل عند الساعة السابعة أشار الدليل من بعد إلى البرج الذي يشرف على قصور تيندوف حسب قوله: فأرسل الملازم *de Labarrière* إلى الأمام ومعه قسم الطليعة وفريق الادلاء بهدف احتلال هذه النقطة من تيندوف والانتشار على بعد بضعة كيلومترات في نواحيها وطمأنة السكان مع الحرص على أن لا يهربوا منها.

وبعد ذلك بثلاث ساعات دخلت المفرزة إلى القرية الصغيرة المصونة والمختفية في منحدر واد عريض نسبيا؛ ثلاث قصور كانت مهمة تحيط بأيكة من ٢٠٠٠- ٣٠٠٠ من النخيل وقناة مائية تسقي البساتين، ومئذنة جميلةتنبعث من أحد القصور تعطي طابعها الخاص لهذه القرية الصغيرة الضائعة في الصحراء.

تيندوف تبدو لأول وهلة مركزا مهما ولكن الخراب داخل القصور يفيد بأنها مهجورة.

إن هذه القصور قد بنيت منذ ٧٠ سنة على الأقل أيام كانت تجكانت المكتظة بالثروات تلح بأن تجعل منها مركز إمبراطوريتها، ولكن هذا الازدهار كان عابرا، وقد فقد هؤلاء البدو مزاياهم الحربية وأصبحوا فريسة لجيرانهم[1].

---

(1) تقرير النقيب Ressot

لم يعد يقطن قصور تيندوف حاليا إلا زهاء خمس عشرة عائلة من تجكانت، وتوجد هذه القصور في منطقة غنية نسبيا بنقاط الماء.

واستفسر النقيب *RRessot* السكان القلة الموجودين في المكان، ولأيا ما حصل على بعض المعلومات منهم، لكنه علم منهم أن غارة كبيرة من ٣٣٠ من الركيبات غادرت خلال شهر مارس متجهة نحو أزواد وموريتانيا[١]، وكانت هذه الغارة مؤلفة من لقواسم وبعض اركيبات الساحل. ولما شعر الركيبات بالرحلة الاستكشافية أخلوا منطقة تيندوف والدايه الخظره، وكذلك مخيمات الشيح عابدين، رأوا أنه من الحذر الابتعاد(عن المنطقة).

وقرر النقيب متابعة الهجوم والاتصال بمخيمات اركيبات المنشقين إذا أمكن ذلك.

وفي يوم ٣٠ إبريل أبصر قطيعا في المراعي، وفورا استنفر القطيع وهرب إلى مخيمات مجموعة من اركيبات لقواسم، فتمت المطادرة فورا، وبعد تبادل إطلاق النار مع المنشقين وتم الاستيلاء على جزء من القطيع، وتم اكتشاف العديد من مخيمات لقواسم في المنطقة، ولم يبق فيها إلا العجزة والأطفال وبعض العبيد الذين صرحوا أنهم سمعوا الحديث عن غارة تدبر لدى لقواسم، ولكنهم لا يعرفون تشكلتها ولا أهدافها ولا تاريخ مغادرتها.

---

(1) في الحقيقة الغارة التي ذهبت إلى موريتنانيا هي التي هاجمت الكتيبة الأولى لجمالة آدرار في ابريل بالطريفية.

وفي يوم ١ مايو أخذت المفرزة طريقها إلى العودة عن طريق اعكليت البشارة بوعكبه ومرتفعات أورغزيز، ووصلت دون عائق يوم ١٩ مايو إلى تبلبالت مصطحبة معها زهاء ٤٠٠ جمل من الغنائم، بعدما قطعت منذ مغادرتها اكثر من ١٦٠٠ كلم خلال ٤٣ يوما.

إن هذه الرحلة الاستكشافية، ونهب المخيمات التي كانت في طريقها تركا لا شك أثرا بالغا في نفوس المخيمات المنشقة، ولكن هذا الأثر يخشى ألا يدوم لمدة طويلة.

إن مناورة كهذه على بعد ٨٠٠ كلم من القواعد لا يمكن القيام بها من جديد كل مرة. فالبدو سوف يشعرون بها لا شك، ربما يبقي فقط ملاك الجمال الذين فقدوا بعضها محتفظين في أذهانهم بذكريات حية من تلك العملية. ولكن من المحتمل جدا أن ينظم هؤلاء خلال فصل الخريف المقبل غزوات قوية في المناطق الغنية بالجمال؛ أي في موريتانيا والحوض وأزواد من أجل الانتقام وإعادة تكوين قطعانهم.

إن نهب مخيمات الفوكرا فصيلة القواسم التي ظلت دائما تتظاهر بالعداء، لن يكون أقل من إنذار ملائم لهؤلاء اللصوص الألداء، ولكي نستطيع أن نحلم بنتائج مستمرة كان ينبغى كما يقال؛ أن يكون هذا الدرس متبوعا بتفاهم بين الركيبات المنتجعين في نواحي تيندوف والسلطات الجزائرية جيرانهم الاقرب إليهم، وإلا فإن

هؤلاء البدو سيرحلون بمخيماتهم نحو الغرب أو الجنوب لاستعادة نشاطهم بحرية تامة.

ونحن نعلم جيدا قيمة التعهدات التي يعطيها البيضان، ومدى تأثير شيوخ المخيمات، ـ ولو كانوا صادقين في نياتهم ـ على رجالهم لنعتقد بأن أي تعهد مماثل من قبلهم لن يكون له من نتيجة سوى منحهم في جهة الجنوب حرية سيستغلونها لنهبنا وقت مَاشاءوا في تخومنا الجنوبية.

إن الاحتلال الدائم لمنطقة تيندوف بواسطة قوة متحركة مهمة سيكون له طبعا نتائج مختلفة، ولن يكون موضع بحث حاليا.

وإليكم وجهة نظر النقيب *Ressot* حول المراحل الجديدة للتوغل الجزائري نحو الشرق:

إن احتلال تيندوف بصورة دائمة لا يمكن أن يكون مزمعا من جهة الجزائر، ولو بنقل مقر السرية الصحراوية في تابلبالت، فالموقع سيكون بعيدا جدا والتموين سيكون مكلفا، وخطوط الربط ستكون هشة، وموقع تيندوف نفسه موقع معزول في متاهة؛ محروم من أي مورد يمكنه من أن يكون في يوم من الأيام مركز وحدة مهمة كالسرية الصحراوية التي يفضل أن تكون مواردها محلية.

وانطلاقا من وجهة النظر هذه فإن الموقع المناسب لسرية صحراوية سيكون في أرض أيت امريبط عند عقفة وادي درعة حيث واحات النخيل الكثيرة والتي قارنها الأب *de Foucauld* مع تلك

الموجودة في وادي رحير، حيث التمور والحبوب والقطن والمواشي تتدفق نحو آيت مريبط حيث يوجد أهم سوق في الصحراء الغربية، والموقع الفرنسي الذي يحكم هذا السوق سيكون سيد المنطقة، والموقع المتقدم الذي سيتم إنشاؤه في تيندوف سيكون ممونا من هنا في أحسن الظروف. وحسب بعض المعلومات فإن زعيم أيت مريبط إبراهيم بن بلعيد لن يعترض على احتلال الفرنسيين ما دام سيستفيد منه أرباحا. ليست لدينا معلومات كافية عن هذه القبيلة أيت مربيط؛ نعلم فقط أنهم شلوحة كانوا محاربين أشداء ولكنهم الآن شبه بدو وشبه قرويين ويمارسون حق السيادة على بعض البدو الذين يدفعون لهم إتاوات، ويبدو أنهم الأسياد غير المنافسين في الإقليم الذي يسكنونه.

❊ ❊ ❊ ❊

ملــــــــحق

التوغل العربي في موريتانيا [1]

الأسلمة فيما بين القرن الثامن والرابع عشر الميلادي

تنقسم مرحلة أسلمة بلاد البيضان إلى مرحلتين منفصلتين تماما؛ المرحلة الأولى من القرن الثاني إلى منتصف الحادي عشر الميلادي، وهي فترة الإجتياحات العربية الأولى.

كانت الحكومات العربية في المغرب تنظم بعثات إلى بلاد السودان بهدف الحصول على العبيد.

وكانت هذه البعثات تعبر أقاليم يقطنها سكان بيض برابرة دون أن يهتموا بإرغامهم على الدخول في دين محمد(صلى الله عليه وسلم.)

إلا أنه بسبب هذا التحرك لم يمض وقت حتى كان هناك تيار تجاري بين البلاد العربية في الشمال والبرابرة في الجنوب، وكانت القوافل السلمية تسلك نفس المسلك الذي سلكه المحاربون واستقر تجار في البلاد، فكانوا هم الذين نشروا الإسلام في محيطهم، يدفعهم حماس الدعوة عند المسلمين الأوائل.

وبالرغم من هذا الدين البسيط والملائم جدا لعقلية البداة وأخلاقهم، فإنه لم يشهد تقدما كثيرا خلال قرون عديدة. وفي سنة

---

(1) ملخص من سكان موريتانيا، الرائد Ghllier ، مجلة الوحدات الاستعمارية ١٩٢٥.

١٠٥٠ تغيرت الوضعية بصورة مفاجئة، فجاءت حينئذ المرحلة الثانية من الأسلمة، وهي مرحلة سريعة وعنيفة بسبب التطور المذهل والذي حصل بصورة عابرة لقوة البربر الذين استطاعوا بفضل البروز المفاجئ للتعصب الديني أن يؤسسوا إمبراطورية مسلحة تضم الجزء الأكبر من الصحراء الغربية حتى النيجر وجزءا من المغرب وجنوب إسبانيا.

❊ ❊ ❊ ❊

الامبراطورية البربرية المرابطون

خلال أواسط القرن الحادي عشر كان شيخ لمتونة(لام متينة) الاتحاد القوي؛ ـ وهو التجمع البربري الأشد قوة ـ الشيخ يحي بن إبراهيم لكدالي عائدا من الحج إلى مكة، وتذمرا من نقص في التدين لدى البرابرة، قرر نشر الإسلام في قبيلته. ولهذا الغرض جاء من التافلالت بعالم عربي هو عبد الله بن مكو بن ياسين المعروف بإيمانه وكلفه بحمل أتباعه على الدين.

ولم يفلح عبد الله في البداية بالرغم من حماسه الديني وتصلبه، فقد أحدث أسلوبه القاسي ثورة كان يهرب على إثرها في نواحي حوض آركين.

وبفضل أتباعه المتحمسين بعنف مثله، والذين تبعوه في انسحابه بدأ دعوته من جديد دون تأخير، وأسس طريقة دينية على قواعد صارمة تبناها العديد وأصبح أعضاؤها يدعون باسم المرابط؛ بمعني الذين ينفردون في رباط أو صومعة. من هذا الاسم الذي يجمع على مرابطون اشتق بعد ذلك ماربوت ويقول الاسبان المورافيد.

وقد شجعت عبد الله نجاحاته، فقرر توسيع دائرة نشاطه. ولتوسيع دائرة النشاط يلزمه أن يلجأ إلى الجهاد أو الحرب المقدسة، فسلح المرابطين المحرضين بسبب دعوته وانطلق على رأسهم في غزو بلاد البيضان.

فتغلب خلال سنوات معدودة على الجزء الأكبر من الصحراء الغربية من المحيط إلى نهر النيجر، ومن وادي درعة إلى نهر السنغال، مقاتلا وداعيا إلى الله وحده وإلى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) فسقطت أوداغوست[1] عاصمة المملكة البربرية، وكذلك غانه عاصمة الإمبراطورية القوية للسركولي تحت ضرباته.

وقتل الداعية في إحدى المعارك، وخلفه في قيادة فرقه ـ التي ظلت في تزايد ـ شيخ لمتونة الجديد بوبكر بن عامر.

قاد هذا الأخير البرابرة إلى الشمال وغزى المغرب بمساعدة قائد شاب يدعى يوسف بن تاشفين.

في تلك الفترة كان سلطان العرب في إشبيلية يقاوم بشدة ضد نصاري قسطيلة ووجه نداء استغاثة إلى يوسف الذي عبر إلى إسبانيا وتغلب على النصاري قرب *Toled* وعاد بعد ذلك إلى إفريقيا الشمالية.

ثم نادى عليه مسلموا الأندلس مرة أخرى للإطاحة بسلطانهم المستبد، فعبر يوسف على رأس البرابرة المضيق مرة أخرى، وأزال عروش الأمراء المسلمين في جنوب إسبانيا وأعلن نفسه خليفة على العرب، وأسس الخلافة المرابطية. وبعد ذلك بخمسين سنة كان

---

(1) يعتقد أن أوداغست كانت تقع في نواحي تشيت، وأما غانه فقد عثر على أطلالها بين غامبو وولاته.

دور الغلبة على المرابطين، وطردوا من إسبانيا من قبل الموحدين ـ أصحاب طريقة إسلامية جديدة نشأت في إقليم أطلس.

وبينما كان يوسف يقاتل في إسبانيا، كان ببكر بن عامر يتابع غزواته في موريتانيا ضد القبائل المنشقة حتى قتل حسب الحكاية في تكانت خلال هجوم على قرية من قرى السودان.

وبعد موته لم تصمد الإمبراطورية البربرية التي تأسست بالقوة بسبب انعدام قيادة حركية، واستعادت القبائل التي كانت خاضعة لها استقلالها، وانقسم التجمع اللمتوني القوي على نفسه إلى فصائل مستقلة.

ثم كان الرجوع إلى حياة التشرذم الذي يريده البدو كثيرا، والذي لم يتغلب عليه قط في وقت من الأوقات إلا التعصب الديني، واستمرت بعض القبائل في حمل السلاح وأخرى وهي الكثيرة تخلت عن كل طابع حربي وركزوا على تنمية قطعانهم وتزكية نفوسهم من خلال قراءة النصوص وممارسة الشعائر الدينية.

فكانت أسلمة الصحراء واقعا، ودخلت الثقافة العربية المؤسسة على قراءة القرآن في كل مكان جالبة معها مستوى رفيعا من الحضارة إلى المجتمع البربري.

وظل المجتمع البربري صامدا كليا تقريبا خالصا من أي دماء أجنبة. فالعرب القلائل الذين جاؤوا من المغرب واستقروا في بلاد

البيضان وكانوا في مجملهم تجارا، لم يكن لهم لغاية ذلك الوقت أي تأثير يذكر في هذا الصدد.

* * * *

اجتياح العرب الهلاليين، تكون المجتمع الحالي

خلال منتصف القرن الحادي عشر تم إبعاد قبيلتين عربيتين معروفتين بالنهب والتمرد؛ بني هلال وبني سليم إلى جنوب مصر (مصر حاليا) من قبل خلفاء بني العباس في بغداد.

وبعد ذلك بقليل، وعندما ثار حاكم المغرب على السلطان ومن أجل معاقبته والتخلص في نفس الوقت من القبيلتين العربيتين المزعجتين أرسل القبيلتين إلى المغرب ومنحهما السيادة على البلاد، على أن تتحمل القبيلتان أعباء الغزو. واستقر بنو سليم في ليبيا، وتقدم بنو هلال أكثر إلى الشرق، فغزوا تونس واستقروا بها، ومنها وصلوا إلى الزاب وتافلالت جيبا بعد جيب ووصل أحد تجمعاتهم؛ بنو حسان واد نون ووادي درعة.

وحتى بداية القرن السابع عشر لم يتجاوز بنو حسان الساقية الحمراء جنوبا. في تلك الفترة قام قائدهم مغفر ولد أدوي ولد حسان المعروف في موريتانيا باسم أبو العرب كافة؛ بمساعدة أخيه امبارك بغزو الصحراء الغربية.

فنجح الاجتياح العربي نجاحا ساحقا، إذ لم يجد أمامه إلا قبائل بربرية تعيش في الفوضي، غير قادرة على التفاهم بينها لتقاوم العدو المشترك؛ قبائل فضلا عن ذلك كانت قد تخلت عن حمل السلاح في مجملها منذ سقوط إمبراطورية المرابطين العابرة.

فخضعت معظم أجزاء الصحراء خلال سنوات معدودة، فغزى امبارك شرق البلاد حتى بلغ *Kaarta*، ويشكل أحفاده اليوم أولاد امبارك. وأخضع مغفر آدرار وتكانت.

وعند موته تابع أبناءه تروز وبركني عمله، ووصلا سريعا إلى السنغال وأصبحا عدوين على إثر خلاف بشأن تقاسم الغنائم، وصارا يعملان كل على شاكلة. تروز في الغرب وبركني في الشرق، فأسسا الاتحاديتين الكبيرتين اترارزة ولبراكنة، واللتين ظلتا قائمتين حتى اليوم.

وهي القبائل التي استمرت في حمل السلاح، وأنجبت الأمراء والأسر النبيلة في البلاد، والتي تعرف باسم لمغافرة؛ أي المنحدرين من مغفر.

وحسب الرواية يبدو أن الاجتياح العربي لم يلاق إلا عقبة واحدة قوية، وهي المقاومة التي جابه بها ناصر الدين البطل الوطني الذي استطاع أن يجمع بعض القبائل البربرية المحاربة. إنها كانت معركة ساخنة ولكنها قصيرة وانتهت بتحطيم البرابرة نهائيا، ولا يزال البدو يروون تحت الخيام مقاطع تحسنها الاسطورة عن هذه الحرب التي دارت من أجل الاستقلال والمعروفة باسم شاربب أي الحرب الكبيرة.

بعد غزو البلاد انقسمت القبائل إلى ثلاث فئات :

١- الفئة التي برهنت على ميزة محاربية حقيقية تركت حرة.

٢- القبائل المحاربة الأخرى، تركت حرة ولكن بشرط التخلي عن حمل السلاح ودفع إتاوات حقيقية للعرب(الغفر)

٣- القبائل التي أخضعت لنظام الغارمين وتدفع للغالب الحرمة وتعرف باسم قبائل آزناكه.

واستمر العرب في البلاد جنبا إلى جنب، حسب المواضع مع التجمعات البربرية الموجودة، مختلطين أحيانا معهم، ويعيش الجميع على حساب المغلوبين. ووصل إلى آدرار بعد ذلك دعم عربي آخر في شكل الحملة التي بعث بها سلطان المغرب لدعم الأمراء المستقرين في البلاد ضد هجوم البرابرة، وخاصة ايديشلي، هؤلاء الذين ثاروا وكانت لهم الغلبة أولا ولكنهم غلبوا نهائيا بفضل التعزيزات المغربية التي استقرت بدورها هي الأخرى في البلاد. أحد هؤلاء المحاربين المغاربة استقر في كثبان آكشار ربما كان اسمه آكشار وكان له أولاد عديدون أحدهم اسمه عمنى جد أولاد عمني القبيلة التي منها امراء آدرار.

وإخوة عمني الأخرون الذين لم يتفاهموا معه، شكلوا مجموعة أخرى مستقلة احتفظت باسم أولاد آكشار، ويدعى أولاد غيلان أيضا بأنهم منحدرون من آكشار، ولكن هذه النسبة يعترض عليها أولاد عمني.

القسم الثاني

الحالة سنة ١٩٢٥ ـ مشكلة البدو الكبار وقضية السلم النهائي

الحالة الداخلية في سنة ١٩٢٥ ـ سياسة تدجين البدو الكبار ونتائجها

وادي الذهب والجنوب المغربي هما مفتاح المشكل

ضرورة تعزيز وسائلنا الدفاعية خلال مرحلة الانتصار الحالية(معدات حديثة وتكتيك صحراوي)

القيادة الصحراوية الموحدة

I- الحالة الدخلية ١٩٢٥
سياسة تدجين البدو الكبار ونتائجها

منذ ١٩٠٨ أي منذ استقرارنا في آدرار ساد الأمن داخل موريتانيا، فقد قبلت القبائل سيطرتنا، بعضها بحماس ومسارعة، والبعض الآخر تحت الضغط والخوف.

لقد وجدت القبائل المرابطية (الزوايا) والزناكة في احتلالنا للبلاد وضع حد للفوضي والنهب والنكد الذي كان يمارسه المحاربون، وأما هاؤلاء (المحاربون) فقد قبلوا الأمر الواقع مع عدم ارتياح عندما اعترفوا بأننا كنا نحن الأقوياء.

والمقاومة التي واجهتنا خلال توغلنا، ماعدى تلك التي قام بها ضدنا المرابط ماء العينين لهدف محدد، كانت فقط من القبائل المحاربة والمتلصصة، التي تعيش على حساب الفئة العاملة من الشعب خشية حرمانهم من هذا المورد المدر للدخل.

أما كبار الشيوخ الدينيين فقد كانوا على عكس ذلك، مكتسبين في البداية، بل كانوا يبحثون عن توطيد وتطوير نفوذهم من خلالنا.

وأما المحاربون فإن إخلاصهم يستند إلى اعترافنا لهم بحقوقهم العرفية، وفي مقابل ذلك يمكننا أن نسلحهم ونستخدمهم في حماية البلاد.

ولكنه من السابق لأوانه أن ندفع إلى إلغاء الحرمه والغفر[1] باسم مبادئ التساوي. فالمجتمع البيضاني لايزال هشا وينبغي على الأقل الحد من تدخلنا في لعبة هذه الأعراف، ولكن شريطة أن لاتؤدي إلى تجاوز أو عنف.

فإلغاء حقوق المحاربين وخاصة أهل آدرار وخصوصا الفقراء منهم، سيحرض على الذهاب في التمرد بصورة فردية. فالأتاوات التي تدفع إليهم ـ ولو كانت ضئيلة ـ تساعد على بقاء المستفيدين منها.

ومع ذلك فإنه من حقنا أن نراجع هذه الرسوم بحكمة، وأن نخفف الإتاوات بالتفاهم مع المستفيدين أنفسهم، الذين يجب أن يفهموا بأن هذه الإتاوات كانت محددة بنسب مرتفعة، لأنهم لم يكونوا بإمكانهم الحصول عليها إلا بطريقة غير منتظمة. واليوم نحن نضمن الاستقرار، وعليه فمن العدل تعويضا عن ذلك أن يقبلوا هذا التخفيض الذي يجعلها مقبولة عند الغارمين.

ومع ذلك فيجب أن لا ننكر أن البيضان في الغالب أصحاب ريبة وحذر، وأنهم لا يطمئنون وسريعون إلى الخيانة، ودوام الحذر والحزم منهم يعتبر ضروريا. إنهم جشعون ويجب أن نفهمهم بأن مصلحتهم تتوارد مع مصلحتنا.

---

(1) الحرمه والغفر: إتاوات تدفعها قبائل الزناكة والزوايا (المرابطون) للقبائل المحاربة.

ومن جهة أخرى يمكن أن نمارس عليهم تأثيرا متزايدا من خلال تطوير نظام المساعدات الطبية وزيادة عدد المدارس.

وأما في ما يخص المسألة الدينية، يمكن أن يقال إنها غير مطروحة في موريتانيا كعنصر سياسي؛ فالإسلام لا يعتبر خطرا، ولكن سلطة التحريض عند المرابطين (الزوايا) مع ذلك لا يمكن إهمالها. فالعلويون المنتسبون لطائفة التيجانية والذين هم في علاقات مستمرة مع زاوية التيجاني في فاس من حقهم أن يمنحوا عناية خاصة.

فالفكر الديني في بلاد البيضان لا يملك ذلك الطابع من القوة والتماسك الذي يملكه في أقاليم أخرى، وعقيدة المؤمنين هنا حارة ولكنها- إذا استثنينا الطريقة الغظفية- تتسم بطابع زهدي قليل التعصب والطائفية.

وأما الطريقة القادرية والأكثر انتشارا، فقد ظلت دائما تبدي كثيرا من المسالمة اتجاهنا، وفضلا عن ذلك فإنها قد انقسمت إلى زوايا عديدة مما يوزع أطراف النفوذ.

ومرابطها الكبير الشيخ سيديا يعتبر أبعد ما يكون من التعصب والطائفية، كما يمكن أن يحدث لأي مسلم. فحينما حضر المطران رئيس أساقفة دكار *Mgr Jalabert* إلى موريتانيا استقبله بكل أبهة في مخيمه وبعث معه ابنه وحرسا لمرافقته في جولته، وكان سكان

المجتمعات من البيضان الذين قابلهم يبدون للنائب الرسولي رموز الاحترام التي تعودوا على إبدائها للمرابطين الأكثر قداسة واحتراما.

وأما تعصب أهل ماء العينين فلم يكن في يوم من الأيام إلا لغايات دنيوية محضة كما يقول الشيخ سيديا.

ويمكن أن نعتبر إذن أن الوضعية الداخلية كانت مرضية، وليس الأمر كذلك للأسف بالنسبة للوضعية الخارجية، ذلك أننا لو أردنا أن نتفحص من وجهة النظر المتعلقة بأمن التخوم وبعملياتنا السياسية ضد منشقي الشمال، سنكون مضطرين إلى ملاحظة أنه منذ ١٩١٦ ورغم جهود الجمالة ورغم التضحيات الجسام المؤلمة، فإننا لم نحقق أي تقدم يذكر.

وسياسة تدجين كبار الرحل لم تعط ثمارها التي كانت منتظرة، فهل علينا أن نعجب من ذلك؟ طبعا لا؛ بل العجب إذا حصلت نتائج غير تلك التي حصلت.

لماذا ننخدع بأمل وهمي، بأن المنشقين سيأتون لإعلان خضوعهم طوعا وهم يعلمون أنهم في مأمن بعيدا عن متناولنا، وأننا في الوضعية الراهنة لامكانياتنا ملزمون بالاعتراف بالعجز عن إرغامهم بالقوة.

كيف نفرض ـ عن طريق الإقناع ـ سلطتنا على هؤلاء المستقلين الذين لم يعرفوا قط قانونا غير أمزجتهم الشاردة، ولم يعرفوا من القيود إلا حرية تذهب بعيدا حتى تصبح فوضى.

ونريد نحن أن نلجم هؤلاء البدو الكبار الذين لايعدون الجولات الطويلة من ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ كيلومتر إلا نزهة، والذين يمشون كل عام من تخوم المغرب ويسوقون جمالهم حتى نهر النيجر وأبعد من ذلك.

نريد من هؤلاء المحاربين البالغ عددهم ١٣٠٠٠ محاربا، والذين يمثلون مجموع قبائل اركيبات وأولاد ادليم وولاد بالسباع وتكنه، والمسلحين في غالبيتهم بالسلاح سريع الطلق، والممونين من الذخيرة بما فيه الكفاية من وادي الذهب والجنوب المغربي، نريد منهم أن ياتوا بمحض إرادتهم ويخضعوا لسلطتنا، ونحن لايمكننا أن نجابههم من جهة واحدة هي جهة الصحراء إلا بثلاث كتائب من الجمالة تتألف كل واحة منها من ١٨٠ بندقية تقريبا، ولا يملكون حركيتهم ولا اتساع دائرة نشاطهم ولا ـ أخيرا ـ معرفتهم بالأقاليم الصحراوية.

ونحن في أمل حصول ما نريد نستقبل وفودهم (الصربة) ونمنحهم الهدايا حينما يحضرون إلى آدرار بصورة دورية، مبعوثين حسب زعمهم من فصائلهم وقبائلهم ليفاوضوا على شروط خضوعهم، وهم في الحقيقة إنما يأتون لقضاء حوائجهم الشخصية، والحصول على بعض المعلومات التي قد يحتاجون إليها.

فإذا تم قضاء حوائجهم وبعد أن يسقوا الشاي المحلى ويطعمون من الخراف السمينة التي يضيفون بها بإكرام، يعود رسل السلام هؤلاء إلى أهلهم وينهبون في طريقهم في بعض الأحيان ـ حسب

عادتهم ـ قطيعا من الإبل حتى لا يعودوا إلى مخيماتهم صفر الأيدي .

وأما الخضوع الذي يذكرونه فإنه طبعا ليس في نياتهم، وما حصل من الخضوع سنة ١٩١١ يجب أن لا ننسى أنه كان بسبب الجدب الاستثنائي خلال تلك السنة للمراعي في الشمال، وكان هؤلاء الخاضعون الجدد مستعجلين على الذهاب منشقين خلال أشهر بمجرد تغير الحالة.

يجب أن نبتعد عن تصوراتنا المخيبة للآمال ونتعامل مع الواقع.

سيسخر هؤلاء البدو الكبار من جهودنا للحصول على خضوعهم. فمنذ القديم كان وادي الذهب يمنحهم على أبواب آدرار قاعدة مقربة لعملياتهم، وفي نفس الوقت ملاذا مضمونا ضد المتابعة. ومنذ القديم كان غياب القوة المتحركة نحو الشمال يمنحهم حرية التصرف في صحراء طولها ١٥٠٠ كيلومتر حيث يمكنهم الانسحاب طوعا دون أية إصابة أو مساس.

لأي شيء يحتاج هؤلاء فعلا؟

المراعي لجمالهم: فالجمال توفر لهم من هذه الناحية كل ما يطلبون : بعض الأغراض النادرة أو السلع، يمكنهم الحصول عليها بسهولة، لا في الشمال فقط لدى القرويين في وادي درعة وواد نون ولكن أيضا في آدرار حيث بعض المخيمات الخاضعة من كل قبيلة

يقوم بخدمات الوساطة والتموين، وفي نفس الوقت تزودهم بالمعلومات ليكونوا دائما على علم من نياتنا وليحضروا عملياتهم.

فماذا ستكون إذن مزايا الخضوع عند المنشقين؟ إنهم لا يرون أي شيء، بل إنهم يرون في المقابل سيئات كثيرة ليس أقلها شأنا في نظرهم وضع حد لهذه الحياة الحرة؛ المغامرة المليئة بالعمليلت والجولات عبر الصحراء. تلك العمليات التي يمكن لأي إنسان يملك بندقية من نوع *Carabine* وجيبا مليئا من الطلقات ـ إذا كانت لديه الجرأة وشيء ولو يسير من الحظ ـ أن يصبح غنيا خلال أسابيع قليلة.

إنه يغدو من مخيمه لا يملك في الغالب حتى مطية ويعود أحيانا يسوق أمامه قطيعا من الجمال، لهذا فإنه يمكن لبعض الأغنياء من الملاك والراغبين في الحفاظ على موجوداتهم أن يقبلوا فكرة الخضوع عند اللزوم. وأما الدهماء من الشباب والفقراء فإنهم سيبقون دائما معاندين ومعارضين.

وهؤلاء البدو الذين توارثوا الحياة الفردية وحب الحرية خلفا عن سلف، ولم يقبلوا الخضوع لأي كان حتى لشيوخ قبائلهم، ماذا يمكن أن نقدم لهم في مقابل استقلالهم، لنجعلهم يقررون الخضوع لشروطنا ولو كانت خفيفة؟ رسوم تدفع أم قائمة من الأعمال الشاقة تنفذ!

إنه لا يمكننا الاحتجاج بأننا نضطلع بحمايتهم، ذلك أنه لو سلمنا جدلا بأن الآلاف من المحاربين في حاجة للاحتماء ببضع مئات من آخرين ليسوا أكثر تسليحا منهم، فإنه من غير المعقول لأسباب تتعلق بالانتجاع أن نحشر القبائل المنشقة حاليا وقطعانهم الكثيرة في دائرة نشاط جمالتنا. وفضلا عن ذلك فإن هذه القبائل إذا أعلنت خضوعها فلن تعود هناك حاجة لرجال الأمن مادامت هذه القبائل هي التي كانت تشكل آخر معقل للتلصص في هذا الجزء من الصحراء.

بيد أنه يجب أن لا يكون هنالك غموض حول هذه النقطة، فحتى بعد احتلال آخر أوكار المنشقين: وادي درعه والساقية الحمراء والتافلالت، فلن يكون الهدوء مكتملا في الصحراء، ذلك أنه يجب أن نحسب لغريزة النهب الفطرية لدى البدو حسابها، إذ تعتبر عمليات النهب لديهم صناعة وحاجة فطرية.

ولكن فعلا لن يكون لنا مستقبلا شأن مع جيوش مهمة، وستنتهي فترة الهجوم على مفارزنا، وستتقلص العمليات التي تتطلب حركية ونشاطا كبيرا من قبل فرقنا المتحركة، لتبقي في حدود مطاردة عصابات صغيرة من اللصوص.

وبما أن الإقناع لا يمكن أن يعطي نتيجة، فإنه يبقي لنا على الأقل أسلوب استخدام القوة... ولم لا! إن استخدام القوة في الحالة الراهنة ستكون له نتائج مشؤومة، ولدينا أكثر من مثال على ذلك.

لا نملك شيئا ضد هؤلاء البدو الذين ينسحبون وقتما شاؤوا ليصبحوا خارج متناولنا، والاستعراضات التي كنا نقوم بها في الشمال لم يكن لها من نتائج سوى أن جاءت على أعقابنا بعصابات أكبر مما تعودنا عليه؛ تأتي في شكل انتقامي لنهب أتباعنا والهجوم على مفارزنا.

* * * *

II- وداي الذهب والجنوب المغربي هما مفتاح المشكل

فنحن إذا في موريتانيا محجمون إلى حالة الدفاع والعجز في جهة الشمال، وهذه ملاحظة صعبة ولكن ماذا يفيد السكوت عليها.

هل معني ذلك أن الوضع سيبقي على ما هو عليه، وأنه يجب علينا أن نتخلي عن أن نرى أملا في الخروج من هذه الحالة المخزية، لنرى السلم يسود تخومنا في يوم من الأيام ؟ لا طبعا! ولكننا مقتنعون بأنه لكي تحصل هذه النتيجة من الضروري أن يشعر المنشقون بأنهم لم يعودوا في منآى من مرامينا، وأنه ليس بإمكاننا إيصال الضربات إلى العصابات المسلحة فقط، ولكن كذلك إلى مخيماتهم خاصة.

ولهذا فانه يصبح من اللازم أن لا يكون الإقليم الإسباني المجاور يشكل لهم ملاذا من جهة، ومن جهة أخرى أن تعبر فرق المغرب الاطلس لتحتل التخوم الشمالية للصحراء، مما يقابل موريتانيا وإنشاء وحدات جمالة قادرة على عبور الأقاليم غير المحتلة لتقديم المساعدة للفرق الرحل في آدرار.

واعتراف إسبانيا بالعجز ونجاح زعماء الريف كل ذلك يفتح آفاقا جديدة للمسلمين، فإنهم تغلبوا لأول مرة على جيش من الروم المعززين بالسلاح والمعدات الأكثر تطورا، فتولدت لديهم آمال جديدة.

وعبد الكريم الذي هو مدين في ثروته المفاجئة للحرب ضد الكافرين، لا يمكن إلا أن يشجع هذه الأفكار الحربية، فتزعم حركة التحرير، ولتبرير طموحاته أعلن نفسه سلطانا، وأعلن أن المغرب لم يعد لديه سلطان شرعي بعد عبد العزيز واجتهد رجاله في كافة أرجاء المحمية في تشجيع معارضينا، وكانت رسائله التي يدعو فيها إلى المقاومة، ويعدهم فيها بالعون، تصل حتى الأطلس الأوسط وحتى إلى الأقاليم الصحراوية البعيدة[1].

كل عناصر الفوضي في الجنوب المغربي أصبحت تتلقي الآن كلمة السر من (سلطان الريف) ويتبادل علاقات متصلة مع المحركين الأساسيين من امثال بالقاسم التقادي في التافلالت ومجموعات عابدين الصحراوية، وأخيرا مربيه ربه ولد ماء العينين الذي يتابع السياسة الهجومية لمرابط اصمارة القديم ضدنا في موريتانيا.

ولن يكتفى عبد الكريم ببذل تشجيعاته، والآن وبعد ما قرر أن يجرب حظة في المغرب، بالرغم من تأكيد أنه الأجدر بالصداقة، فإنه سيعرف كيف يوصل جزء كبيرا من غنيمة الحرب التي استولي عليها في الإقليم الإسباني إلى هذه القبائل الصحراوية التي تهمنا نحن خاصة هنا. هذه الغنيمة التي لن تقل عن ٢٠٠,٠٠٠ بندقية وقرابة ٣٠٠ كانون وكميات هائلة من الذخيرة، ليستخدمها البدو الكبار ضدنا في الجنوب وفي الشمال.

---

(1) العلم المعاصر المصور، فبراير ١٩١٥

ويجب أن لا ننسي أيضا أنه منذ نهاية الحرب تشكلت العديد من اللجان والجمعيات الوطنية والإسلامية التي تعمل على تحقيق مطالب الشعوب الإسلامية، ويمكن أن نذكر من بين أكثرها نشاطا رابطة تخليص سكان المستعمرات الفرنسية، التي تأسست سنة ١٩٢٤ في موسكو، وفروعها في باريس وبرلين ولجنة مستقبل الإسلام التي أنشئت في يونيو ١٩٢٤ في كونيا.

وهذه اللجنة الأخيرة تضطلع بقيادة النضال الفعلي ضد القوى التي تمارس هيمنة على الشعوب الإسلامية، وتزود المقاومين بالدعم المادي الضروري في شكل إعانات مالية وتموين بالذخيرة وابتعاث مرشدين الخ... وتلعب دورا رئيسيا في القضايا الفرنسية المغربية في الريف، وتساند بكل قواها النضال الذي يقوم به عبد الكريم.

وأخيرا فلجنة مستقبل الإسلام تحاول حاليا التمكن من إعلان الجهاد، تفاديا لحمل المحاربين المسلمين السلاح ضد أهل الريف، وتنوير أهل الإسلام قاطبة ضد النصارى.

ولايمكن لتعصب أهل ماء العينين إلا أن ينبعث في دعم هذه التحريضات، ويجب أن نتوقع تجددا في نشاطات القبائل لصحراوية وربما هجومات جديدة للمنشقين على تخومنا الموريتانية والسودانية؛ لا يمثل ما حدث في الطريفية ـ حيث أظهر العدو اندفاعا واستبسالا غير معهودين ـ إلا توطئة وتمهيدا لها.

لقد رأينا أن مفتاح مشكلة السلم في الصحراء الغربية يكمن في وادي الذهب والجنوب المغربي، بمعنى أن موريتانيا بمفردها لايمكن أن تحل المشكلة. وقضية وادي الذهب تعود لاتفاقيات دولية، فاتفاقية يونيو ١٩٠٠ حددت بصورة تحكمية لهذا الإقليم الإسباني حدودا لا تأخذ في الحساب من المعطيات السياسية والجغرافية إلا ما يتعلق بسبخة الجل التي منحت لفرنسا.

في إقليم لا يقطنه إلا سكان البدو الرحل؛ ما هي القيمة التي يمكن أن تكون لحدود تجاهل رسمها الأراضي التي تجول فيها القبائل الرحل، التي تجوب بصورة متناوبة من جهة أو من أخرى لهذا الخط الافتراضي، تبعا لحاجتهم من المراعي ورغبتهم في التلهي ولو مؤقتا بعقاب مستحق ؟

إن مستعمرة وادي الذهب لا تعدوا محطة للصيد، أنشئت على اليابسة في شبه جزيرة الداخلة، لا نخيل فيها ولا نبات من أي نوع كان.

وقد تأسس فيها موقع سنة ١٨٨٥ كان يدعى *Villa Cisneros* تشريفا للكاردينال المستكشف الذي يحمل هذا الاسم. وأنشئت فيها وكالة تجارية تملكها الشركة الإسبانية العابرة للمحيط، ويعتبر دخول خليج الداخلة صعبا بسبب التيارات المائية وقاع المحيط، ولا يمكن أن يستقبل إلا البواخر ذات الحمولة الصغيرة.

والحامية المؤلفة من ٥٠ رجلا يقودهم ضابط، تظل محشورة في الموقع، ومنذ ثلاثين سنة لم يقم الإسبان بأي جهد، لا من أجل الاحتلال ولا حتى للقيام بزيارة لداخل مستعمراتهم.

لمرة واحدة سنة ١٩١٠ قام المقيم في الداخلة *Villa Cisneros* الذي أزعجته نتائج سياستنا، التي جعلت أولاد ادليم في الشمال يأتون إلى آدرار لإعلان خضوعهم، والحال أن الأراضي التي يجولون فيها متداخلة بين الإقليمين المحاذيين، قام بزيارة إلى أطار ومعه حرس بحجة تافهة؛ ليري السكان المحليين بأن الفرنسيين الذين هم أصدقاء االإسبان، لا يمكن بحال أن يمارسوا أي شيء ضد القبائل الرحل في وادي الذهب.

وفي نفس الوقت فإن المقيم في الداخلة يريد أن يرد أولاد ادليم عن المجيئ لإعلان خضوعهم في آدرار، وينبههم على أن الأسبان لا يطلبون منهم أي ضريبة وأن أولئك الذين يأتون منهم للخضوع إلى الفرنسيين سوف يحرمون من العلاقات التجارية مع وكالة الداخلة، وسيفقد الشيوخ نسبة الخصم التي تعودوا على أخذها من العمليات.

وقديما كان الأسبان قد انشئوا موقعين جديدين على الشاطئ في الطرفاية وفي شبه الرأس الأبيض قرب انواذيبو، ولكنهم لم يدخلوا قط إلى داخل البلاد.

إن هذا الجوار يشكل بالنسبة لنا مصدر اهتمام كبير، ذلك أن انعدام الرقابة والتخلي إداريا عن وادي الذهب كان غالبا سببا في السهولة التي بها يتم تشكيل الغزوات محتمين بالحدود التي تشكل لهم حصنا حقيقيا، والتي يتطلعون منها للإغارة على مخيمات السكان الخاضعين بصورة مباغتة.

ولكن الإسبان إنما يندفعون فقط في المطالبة بالأقاليم التي تتكون فيها هذه الغزوات ضدنا، بل بلغ بهم الأمر بعض المرات ـ كما حصل سنة ١٩٠٨ حين قتل الترجمان البلدي في انواذيبو ـ أن منحوا اللجوء للجناة المطلوبين من قبلنا، والذين انسحبوا إلى الداخلة وكانوا يعيشون من غزوات نهب القبائل الخاضعة؛ تلك الغزوات التي كان الإسبان يزودونها بالسلاح ويقتسمون معها الغنائم[1].

ويستفيد البيضان الذين هم أسياد فن المكر ومهرة في خلق التناقض بين مختلف السلطات، بحيث يمكنهم الظهور كتابعين بهدف عصيان الجميع، يستفيدون من هذه الوضعية أحسن استفادة ممكنة. وقد كان يجب أن نحدد مسبقا وخاصة في ظل غياب الأسباب وأن نملك نحن حق اتخاذ العقوبات الضرورية ضد أي مخالفة للنظام المقرر وأن يعترف لنا بالتالي بحق المطاردة حتى لاننخدع باللعبة.

---

(1) Etienne Richet مريتانيا

إن اتفاقية ١٩٠٠ تحدد رأس بجدور حدودا شمالية لوادي الذهب وجزء الشاطئ الواقع بين هذا الموقع والطرفاية *Cap July* (وادي درعه) الوكر الأساسي للصوص الساقية الحمراء بكامله بقي حرا، وقد كان بإمكاننا في تلك الفترة أن نحتفظ بهذه الأقاليم الملاصقة للجنوب المغربي(١) داخلة في منطقة نفوذنا.

ومنذ ذلك الحين فقد اعترفت الاتفاقية الأمنية لمعاهدة ١٩٠٤ بحق النفوذ الإسباني على كامل الشاطئ، وبحجة أنه يمثل مصلحة كبرى كخلفية بحرية لأقاليمها في كناريا، قامت حكومة مدريد بضم كافة الأقاليم الواقعة بين وادي الذهب ووادي درعه إلى المعاهدة الفرنسية الإسبانية، فضلا عن الاراضي المحصورة في ايفن *Ifni* (٢).

وتجري الآن مساومات مع الإسبان تجعلنا على كل حال نأمل أن تجد مشكلة الجوار هذه حلا مناسبا خلال فترة قليلة.

وعلى العكس من ذلك، وفيما يخص الجبهة شمال الصحراء، لاشيء يمكن حتى الآن من توقع تحسن في المستقبل، والهجوم الأخير للريفيين في الورغة لم يكن ليسهل من هذه الناحية مهمة المقيم العام ويجعل الحلول مرتقبة.

---

(1) وادي درعه يشكل الحدود الحقيقية للجنوب المغربي

(2) إلا أن الموقع المفترض للمركز التجاري القديم ل Santa Crouz de Mar. Pequena والمؤسس سنة ١٤٨٠ من قبل Diego de Herera حاكم كناريا والذي أسس عليه الاسبان مطالبهم لاحتلال الارض المحصورة في افن يقع إلى الجنوب من وادي نون والارض المحصورة تقع شمالا.

فيما يخص المغرب، حيث وصل الإحتلال الفعلي بصعوبة إلى الأطلس، فالمشكلة الصحراوية في الحقيقة في الوقت الراهن ليست إلا مسألة ثانوية لأمن التخوم الجنوبية. ولكن الأمر لن يصل مع ذلك إلى حد عدم المبالاة تماماكما تشهد لذلك بعض الوقائع الأخيرة. في سبتمبر ١٩٢٤ كان امربيه ربه ولد ماء العينين قد نجح في تأليف حركة منشقة مكونة من الوحدات غير الخاضعة من أهل واد نون ووادي درعه وقبائل صحراوية كانت في ذلك الحين قد صعدت إلى الشمال بحثا عن المراعي.

لقد هددت هذه العصابة بصورة جدية منطقة تارودانت قبل أن تتفرق بفضل الإجراءات الحيوية التي اتخذها الجنرال *Moureaux* قائد إقليم أكادير، الذي أجهض حركة من السكان الأصليين وأعاد النظام إلى الأقليم. وفضلا عن ذلك يشار من ناحية أخرى إلى جهود الدعاية الجديدة التي يقوم بها عبد الكريم. ففي مارس ١٩٢٥ وصلت رسل الزعيم الريفي بالقاسم النكادي وامربيه ربه من أجل إنهاض سكان تافلالت ووادي درعه.

وبدت سياسة المغرب الصحراوية إذن صعبة نوعا ما، فالجبهة الجنوبية لإقليم مراكش والمحيط الاطلسي والاطلس الكبير الوسط مرورا بمنعطف درعه يبلغ قرابة ١٠٠٠ كيلومتر، وفي مقابل هذه الجهة وقريبا منها توجد كافة التجمعات الصحراوية المنشقة مجتمعة: تكنه، أولاد ادليم، اركيبات، قوم عابدين ولد

الشيخ[1]، آيت اعط الصحراويون مدعومين من الجانبين بمركزي المقاومة الذين هما أشد أعدائنا خاصة من وجهتي النظر المغربية والصحراوية. ففي الشرق جهة التفلالت بالقاسم النكادي وفي الغرب في الاطلس الأدنى امربيه ربه وارث ومواصل سياسة ماء العينين.

وهذه العداوة التي تستند إلى قوى عسكرية حقيقية تعتبر خطرة من وجهة النظر المغربية لأنها لا تتسم بطابع كره الأجانب فقط، ولكن أيضا لطابعها الديني والرافض لتوارث السلطة.

والإقليم الذي تحتله فعلا الوحدات المغربية لا يتاخم الأقاليم الصحراوية الفعلية فضلا عن ذلك. وتوجد في كل مكان قبائل متمردة بصراحة متداخلة مع مناطق نشاط لزعمائنا المحليين الكبار، حيث يصبح نفوذ هؤلاء غير مؤكد كلما ابتعدنا أكثر نحو الجنوب والشرق.

فالجبهة الصحراوية في المغرب إذن لايمكن أن تشكل ـ ربما خلال سنوات قليلة عديدة ـ إلا جبهة سلمية حيث لا يمكن أن نزمع القيام بأية عملية، ولا يعني ذلك أن لا نراقب باهتمام بالغ مع

---

(1) عدونا المسن اللدود عابدين ولد الشيخ من أصل كنته لجأ في الجنوب المغربي بعدما حاربنا خلال سنوات عديدة في اقليم تمبكتو، يبلغ الآن من العمر ٩٠ سنة ولم يعد بإمكانه قيادة الغزوات بنفسه، ولكنه يكتفي بتشجيع العصابات التي تأتي لتطلب منه الدعاء لها بالنجاح في عملياتها وإرشادها ومساعدتها بالتزويد بالسلاح والجمال مقابل ثلث الغنائم.

الاحتراس من أي عمل طائش يمكن أن يؤدي إلى حصول حادث أو دوامة من العنف.

ومن أجل التدخل الذي لا محيد عنه مستقبلا نحو الجنوب، لايمكن للمغرب حاليا إلا أن يكتفي بزيادة توثيقه وتكثيف نشاطه السياسي ومحاولة إنشاء تحالفات في أوسع تدابير ممكنة.

فالمنطقة الغربية جنوب تيزنيت، منطقة واد نون ومنطقة حوض درعة الواطئ بيدو أنها مناسبة من وجهة النظر هذه، انها تقطنها قبائل عربية شبه رحل منضوية في اتحادية تكنه التي تحاول منذ فترة إقامة علاقات تجارية متابعة مع الأوروبيين، وقد ذكرنا فيما سبق المجهودات غير المثمرة للأسف للشيخ بيروك بهدف إنشاء مركز تجاري في مصب واد نون سنة ١٨٤٠ تقريبا.

إن هذه القبائل ترتبط باقليم سوس عن طريق مصالح أخلاقية ومادية، إنهم يتزودون من هنالك أيام المحل ويتمونون من هنالك بالسلع الأروبية، وقد استطعنا الدخول في علاقات مع بعض من نبلائهم الذين هم على استعداد، وتم الحصول على نتائج جيدة لنفوذنا. إن كثيرا من هؤلاء البدو المطرودين من الصحراء من قبل قبائل أقوى شعروا بالحاجة عندما استقروا حول الواحات للاحتماء ضد عمليات لصوص الجنوب ورجال الجبل الشلوحة في الشمال.

والبحث عن وضعية مستقرة، لم يتمكن الهيبة ولا امربيه ربه من توفيرها لهم، يحثهم على الالتفات إلينا والنظر برضى إلى تقدمنا

نحو الجنوب الذي يترتب عليه في آن واحد أمنهم وازدهار تجارتهم.

في وادي درعة الذي يشكل حدود المغرب من الجنوب تقريبا، يهدف النشاط العسكري إلى إرساء تشكيلات مناسبة بقوة في النقاط الثلاث التي تتحكم في حوض درعه نحو مصب النهر أو في موقع أبعد غورا قليلا، على سبيل المثال في اكليكيم وأكادير، تيزينيت، غير بعيد من تيندوف، وأخيرا في منعطف درعه. وقد تم تجاوز المرحلة الأولى من خلال إنشاء وحدات مختصة منظمة على طراز السرايا الصحراوية الجزائرية، ولكنها لا تشمل عناصر من البدو.

إن مهمة هذه الوحدات فقط هي الدفاع عن خط زيز وجبهة اكوير بالتعاون مع الوحدات الأخرى المثبتة في المواقع، ولا يمكن استدعاؤها لتساهم في أمن الأقاليم الواقعة إلى الجنوب أكثر إلا بصورة استثنائية. إن هذه التدابير ليست سوى توطئة لتنظيم تمت للحين دراسة تطويره مستقبلا خلال المؤتمر المنعقد في مراكش يوم ١٦ يناير ١٩٢٥، والذي جمع اللواء *Daugan* وقائد إقليم مراكش *Gadeu* والملازم الحاكم في موريتانيا والفريق *Dinaux* القائد العسكري في إقليم عين صفرة، وقد كان هدف المؤتمر هو القيام بنشاط سياسي مشترك اتجاه هذه القبائل البدوية في الصحراء الغربية، ووضع أسس لبرنامج يمكن أن يدرس بكل جدوى ويقدم للإقرار في مؤتمر إفريقيا الشمالية المقبل، والمتعلق بالقضايا التي تهم في نفس الوقت موريتانيا والمغرب والجزائر، وخاصة قضية

الأطلس الأدني وقضية امربيه ربه وقضية التافلالت وبالقاسم النكادي، وأخيرا الأراضي الإسبانية المحصورة.

كما يزمع القيام بإنجاز ربط سريع بين مختلف الأقاليم بواسطة استخدام نظام *TSF* والبريد الخاص.

وكذلك فإنه من الأهمية القصوى أن نتمكن من إيصال المعلومات المتعلقة بتشكيل الغزوات الكبرى دون تاخير، إلى كافة السلطات التي يمكن أن تستفيد منها، ولن يكون أقل ضرورية كذلك أن تصبح الوثائق والمعطيات السياسية المهمة موضوع تبادل منتظم بين مختلف المستعمرات ذات الصلة بالمنشقين.

في هذا السياق أقترح أن يتم تبادل بث إذاعي تلغرافي خاص حول المسائل الصحراوية مرتين على الأقل في كل أسبوع بين آكادير وأطار، وبين كولمبشار وبو دنيب وميدلت ومراكش، وبأن يتبادل أكادير وأطار العلاقات السياسية بصورة مباشرة إذا أمكن، حتى لا نجعل هذه الوثائق تفقد طابعها التحييني، وأخيرا أن يتم تبادل مماثل لكل الأعمال والخرائط والمذكرات...الضرورية للتوثيق المتبادل.

إن الوضع قيد الإنجاز لهذه التدابير التي لا تلغي الحواجز المسيكة فقط على الأوراق، ولكن كذلك في أرض الواقع بين مختلف الأجهزة المتجاورة المكلفة بإيجاد الحلول لنفس المشكلة، قطعا ستكون له نتائج مفرحة.

ومهما يكن من أمر فإن إنجاز البرنامج الذي تقرر في مراكش يعود إلى المغرب النصيب الأهم فيه، ذلك أنه إذا كانت الإمبراطورية الشريفية وإفريقيا الغربية مهتمين بالسلم النهائي في الصحراء بسبب المصالح الاقتصادية الكثيرة التي تربط هذين الإقليمين وخاصة تلك العلاقات التي كانت قديما عند آدرار مع إقليم وادي درعة، إنه من غير المجازفة القول بأنه في الجنوب بلغت موريتانيا حدود تقدمها بل يمكنها أيضا تأسيس آخر موقع متقدم لدى كدية الجل في الشمال تجاوبا مع تقدم المغرب، ولكن بالعكس من ذلك، فإن التوغل المغربي في الصحراء لأيامنا بدأ وهناك الكثير مما يقام به في هذا الاتجاه.

وللأسف فالأطلس الأدنى ووادي درعة لا يعدان ضمن "المغرب المهم"، وكل اهتمام المقيم العام ينصب حاليا على الحدود الشمالية، حيث حصلت تعقيدات خطيرة منذ قليل.

فإنجاز هذا البرنامج إذن ليس مزمعا في المستقبل القريب فيما يبدوا، ففي الجنوب لا يمكن لسياسة المغرب في الوقت الراهن فيما يبدو أن تعدوا محاولة الإبقاء على المواقع المكتسبة بأقل جهد، مع التحضير للتدخل مستقبلا في المناطق الصحراوية من خلال عملية ذات نفس طويل.

وفضلا عن ذلك يجب أن لا نخفي عن أعيننا بأن العمليات التي ستنتج عن هذا النشاط نحو الجنوب لن تكون غير ذات شأن، ذلك أنه إذا كانت التافلالت سهلة يحاط بها، و يمكن أن تخضع بثمن

قليل،فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للمنحدرات الجنوبية للأطلس الأدنى ووادي درعه، حيث ستصطدم الفرق المغربية بالسلطان الأزرق امربيه ربه أخو الهيبة والابن المواصل لسياسية عدونا اللدود ماء العينين صاحب البركة حاليا، والذي يحض على التمرد، لا بين الصحراويين فقط؛ ولكن أيضا لدى رجال الجبل الشلوحة. ويجد لذلك دعما في الأحداث التي حصلت أخيرا في المغرب، وأما الجزائر من جهتها فإنها لم تنتظر جيرانها لتتجاوز المراحل الأولى من البرنامج الذي اختطته لنفسها.

ومنذ بداية احتلال الصويرة فقد وجد الجزائريون قبائل دوي امنيع في شجار مع البرابرة[1].

وبعد محاولة تدجين هؤلاء بدون طائل كانوا مضطرين إلى دحرهم تدريجيا نحو الغرب، وفي سنة ١٩١٠ رمى بهم احتلال تبلبالت نهائيا في الدواره والتافلالت ودرعه، وأنهي عمليات جيوشهم في إقليم الصويره.

وفي سنة ١٩٢٠ وبعد مرحلة غليان قام بها الشيخ عابدين خلال الحرب، طلب أولاد اعريب الأمان في بني عباس، ولم يزد ميثاق السلم الذي تم توقعيه على أن دعم علاقات الصداقة القائمة فعلا ولم يفرض على المعنيين خضوعا ولا تبعية مطلقة. وأخيرا في ربيع

---

(1) اسم "البرابرة" عند الجزائريين يضم كل القبائل المنشقة البدوية التي تجوب الاراضي الواقعة إلى الجنوب من الأطلس.

سنة ١٩٢٤ وعلى إثر عملياتالإنتقام المريرة التي قامت بها فرق الجمالة من سرية الصويرة ضد أيت خباش أعلن أيت علون استعدادهم للتفاوض من أجل الحصول على الأمان.

وحاليا هناك مشروع تحت الدرس لا ينقصه إلا مرسوم تطبيقي يهدف إلى القيام بدفعة جديدة للاحتلال نحو الغرب.

فالسرية الصحراورية التي ازدادت زيادة معتبرة ستوسع نشاطها ليشمل الإقليم الذي تعبره الغزوات المتجهة من درعه نحو السوادان، وفي هذا الإقليم سيتم إنشاء موقعين للدعم، أحدهما اكصيب الحنك والاخر في المناكب، ويزمع إنشاء موقع ثالث للدعم في الواحيله.

وكذلك فإن نشاط الجمالة الجزائريين أصبح شيئا فشيئا أكثر فعالية نحو الغرب. إنهم يملكون دون شك إضافة إلى العدد الكبير الفرقة الأكثر تمرنا على الصحراء، ولكن جهودهم التي تتم بمعزل حاليا في انتظار أن يصل المغرب إلى مرحلة العمل الفعلي يوشك أن تعطي نتائج غير محققة أو على الأقل عابرة.

ومع ذلك فإنه إذا كان إنشاء مواقع جديدة يمكن أن يسهل مطاردة الغزاة عن طريق تموين المجموعات المتنقلة، وتسهيل مهمة مراقبة عصابات اللصوص الذين يستوجب الآن البحث عنهم بتتبع آثارهم حتى الإقليم الزوالي بالحنك، وليس ذلك فقط بل تهديد الغزاة لدى مخيماتهم أنفسهم وتثبيتهم في أماكنهم من خلال التهديد بغارات معاكسة على قطعانهم.

إذا كان الأمر كذالك فإنه يجب أن لا ننسى أنه حتى بعد التقدم الجزائري المزمع، سوف تبقى مساحات واسعة يجوبها الغزاة. وهذا التقدم الجديد لن يضع حدا لعهد الجولات الكبيرة، حيث يعد لقاء العدو "حادثا مشابها لارتطام سفينتين في البحر"؛ والمطاردة المنهجية والحثيثة في الأقاليم التي ترغم ندرة نقاط المياه فيها ـ مهمى يكن من أمر ـ العصابات على المرور بها تبقى وحدها الفعالة. ولا يمكن أن تتم دون تعاون وثيق بين الفرق المتنقلة ذات العمل المنسق في طرفي الصحراء.

وحتى الآن وبسبب عدم التناسب العددي مع عدونا وبسبب ميزاته الحربية وسلاحه المتطور، من المفروض أن لا نتصرف إلا بحذر كبير، فكل عملية حربية بدون تبصر ضد مخيمات هؤلاء يمكن أن تحدث ردة فعل غاضبة في الجنوب المغربي بل وفي التخوم الجنوبية للصحراء، وذلك لفترة طويلة، قد لا نكون نحن في وضعية تسمح لنا بمواجهتهم بسلسلة من العمليات متناسبة معها.

وعليه فإن الحصار التدريجي للمنشقين إذن هو الهدف الذي يجب أن تبذل الجهود فيه، ومع ذلك فإن هذا الحصار الذي يتطلب نشاطا مركبا من المغرب والجزائر وموريتانيا لا يمكن أن يدخل في مرحلته الحقيقية العملية إلا بعد مرحلة تمهيدية يكون خلالها المغرب قد احتل الجبهة الصحراوية.

في ذلك الوقت فقط، ستكون سياسة الصحراء مجتمعة ومؤسسة على القوة، وحدها في النهاية التي يمكن أن ترغم المنشقين على إعلان الخضوع وتسمح بالحصول على نتائج سريعة ودائمة.

"في الوقت الذي نكتب فيه هذه الأسطر، يقول الملازم ***Buhrei*** في دراسة حول المراحل الأخيرة لغزو إفريقيا الغربية: إن هناك غارات مؤلفة من ٣٠٠ ـ ٤٠٠ بندقية تتحرك في تخومنا وتنهب مواطنينا وتقتل مفارزنا المعزولة التي تترك للعدو فرصة المباغتة . إذا تغيرت الامور عن هذه الحالة الراهنة فيمكن حينئذ التفكير في أمر آخر، ولكن في الوقت الراهن فإن الكلمة اليوم للسياسة المستندة إلى قوة السلاح التي هي وحدها القادرة على القيام بنشاط ضد هؤلاء البدو، حتى ولو كانت لا يمكن الشعور بها إلا عن طريق حضور الفرق".

إن هذه الأسطر التي كتبت سنة ١٩٢٣ لا تزال من واقع الحال لأنه في إبريل ١٩٢٥ هاجمت غارة من ٣٦٠ بندقية من جديد مفارزنا الجمالة على بعد ١٠٠ كلم من أطار، وأنه خلال المعركة الشرسة التي دامت ثلاثة أيام وثلاث ليال على الأقل قتل ١٥ رجلا من أصحابنا من بينهم النقيب ***Girval***.

* * * *

ضرورة دعم الوسائل الدفاعية في فترة الانتظار
آليات عصرية، خطة صحراوية

في انتظار التمكن من إنجاز البرنامج الواسع لمحاصرة المنشقين، الذي يهم ثلاثة مفارز، سوف نبقي في موريتانيا وحدنا لمدة طويلة في مواجهة العدو.

وماذا باستطاعتنا فعله ونحن لا نملك إلا وسائلنا الخاصة؟

قطعا هناك شيء من سوء الحظ. لكننا كما رأينا نجد أنفسنا ملزمين بالمحافظة على مواقف دفاعية أمام عدو يتهلي باختيار ساعة الهجوم وموقعه، ويملك ملاذا مضمونا ضد المطاردات.

ولم يبق أمامنا إلا وسيلة ممكنة واحدة، هي تعزيز قدراتنا الدفاعية وأمن تخومنا الملقي تماما على وحدتنا الجمالة. ومن المناسب أن نعرف هل هذه الوحدات حاليا في مستوى هذه المهمة الشاقة.

وهناك أمر يدور في الخلد الآن. إن هذه الوحدات تقاتل بسلاح مساو ضد عدو يملك غالبا أكثرية عددية ساحقة؛ فمعركة لكدم في أكتوبر ١٩٢٤ التي لم يمكن استعمال الرشاشات والمدافع الرشاشة ومسيلات الدموع فيها، تعتبر مثالا مدهشا لا يخلو من بعض المعطيات.

لا ريب أنه ليس بالإمكان إرساء توازن وضمان تفوق على المهاجم إلا إذا كانت فرقنا المتنقلة تملك سلاحا متطورا مصونا

باستمرار، وفي حالة جيدة للتشغيل. وبما أنه في هذا البلاد ذات الأتربة المتحركة يندثر السلاح بسرعة، فكل سلاح لا يرضى إرضاء تماما يجب إرجاعه فورا إلى الخلف حيث يمكن استخدامه في التدريب وتعويضه بسلاح جديد.

فتشغيل الأسلحة المعقدة ميكانيكيا مثل الرشاشات و*FM* أصبح غير محقق بسبب طبيعة البلاد نفسها والتعطل والتوقف عن التشغيل بسبب الأتربة التي تنفذ إلى داخل الاجزاء المغطاة من هذا الميكانيزم المعقد أصبح حالة متكررة بكثرة تضاف إليها حالات التعطل بسب اندثار السلاح.

ومن الناحية المعنوية فإنه ليس من غير الضروري أن لا يكون لدى الوحدات المكلفة بالسهر على أمن التخوم والمعرضة لأن تنقض عليها- بدون مهلة- هذه العصابات النهمة لتدميرها، أي انطباع بأن ما يمكن فعله لم يفعل لتمكينها من مقاومة عدو يملك مبادرة في الهجوم وتفوقا في الاعداد ببسالة.

فرشاشة *Hotchkiss* إذا كانت في حالة جيدة يمكنها بفضل متانتها وبساطة ميكانيزمها أن تعطي نتائج جيدة في بلاد الأتربة، شريطة أن تكون موضع محافظة دائمة وصيانة يومية، وسلاح *FM* موديل ١٩٢٤ الذي يقال عنه إنه أحسن شيء والذي أعطى نتائج مرضية خلال التجارب الاخيرة التي اختبر فيها سيحل بتميز محل *FM* القديم، الذي لم يكن في يوم من الأيام إلا عبئا ميتا، ومع ذلك فإنه مهمى تكن الظروف التي يتم فيها تشغيل هذه الأسلحة المتطورة

ومخاطر تشغيلها في الأقاليم المتصحرة والتي لايمكن أن تخلوا من مجازفة، فإنه لا يمكن أن ننفي بصورة مطلقة أنها تزيد من كثافة النار لدى الوحدات التي تمتلكها.

فمن بين أمثلة كثيرة، أمثلة الميزان وواد التاكليات ولكدم كانت مرضية من وجهة النظر هذه. ويجب أن لا نهمل الاثر المعنوي المثبط الذي يحدثه تعطل هذه الأسلحة ساعة الخطر.

ليس المطلوب أبدا أن نزيد من أعداد هذا السلاح على حساب السلاح الفردي بنسب معتبرة، فالأمثل أن نتمكن من المواجهة بهذا السلاح الأخير في كل المقتضيات وأن لا نعتبر هذه الاسلحة ـ على الاقل في ما يخص الرشاشات ـ (*FM* الجديد لم يعط بعد نتائج) إلا دعما قويا محتملا لكثافة النار.

ويجب كذلك أن لا ننسى أن التفوق في النار الذي تمنحه هذه الأسلحة المتطورة التي تلتهم الذخيرة بشراسة، تعوضه جزئيا خطة العدو في أقاليم صحراوية، حيث يقاتل متفرقا جدا، ولكن بانتظام ومستخدما الميدان ببراعة.

وفيما يخص الأسلحة المحمولة، فيجب البحث عن التفوق في التسلح بالدرجة الأولى من خلال توفير الذخيرة بشكل فائض، بيد أنه إذا كان المنشقون يملكون حاليا ـ بفضل الساقية الحمراء والجنوب المغربي ـ تموينا مهما، إلا أن مواردهم قطعا ليست غير محدودة. ففي المعارك الأخيرة في آدرار لدى لكدم وخاصة في

الطريفية يبدو فعلا أن نفاد الذخيرة كان السبب في قرار العدو الذي يملك السلاح المماثل، والمتفوق عدديا بوقف القتال.

وأما فيما يخص السلاح الذي يمكن اعتباره مخصصا أساسا للدفاع عن الحظائر(الزريبة)؛ القنابل اليدوية وقنابل *V.B*[1] يبدو أن استخدامه يمكن أن يقوم بمساعدة حقيقية لوحداتنا بسبب النتائج المادية وربما المعنوية التي يمكن هذا السلاح من الحصول عليها في الفترات الحرجة من القتال المتشابك.

ولكن حقيقة، من الضروري أن تكون وحدات الجمالة المسلحة فقط ببنادق كارابين مزودة بقمع *V.B* المخصص للخيالة إذا كنا نريد أن نتجنب عودة الحوادث التي حصلت في معركة لكدم، حيث توقفت البندقية طراز ٨٦ والمخصصة للقمع *V.B* عن القدح فأثبت القمع على بندقية من نوع كارابين فقدح.

وسلبية هذا النوع من السلاح تكمن في ثقله، فيجب إذن أن نراعي التوازن العادل بين الاهتمامين المتناقضين، زيادة القدرة الدفاعية للوحدة في أوسع نطاق ممكن وعدم إثقال كاهلها من جهة أخرى[٢].

---

(1) يشار إلى آلية جديدة تحت التجربة في Châtellerault والذي يبدو أنه مهم في الدفاع عن الزريبة ويتعلق الامر بمطلق قنابل لا يتجاوز وزنه ٦ كيلوغرامات ويستخدم قاذفا إلى بعد ٥٠٠ مترا بمصراع يزن ٥٠٠ غرام تقريبا.

(2) السلاح يندثر بسرعة في الصحراء والجمالة يعيشون بعيدا عن المواقع غالبا على بعد مئات الكيلومترات وسيكون من المفيد إذا كنا نرغب في المحافظة على أسلحتهم في

ويبدو من المرغوب فيه أن تزود وحداتنا الجمالة بالمعدات المتطورة التي أنتجها التقدم العلمي الأخير: الرشاشات ذات التشغيل الآلي محركة بزنجير أو على العجلات، طائرات؛ و*TSF*.

هذه الآليات فضلا عن ذلك لا تملك إلا دائرة نشاط غير كافية بيد أنه لا يمكن التفكير بأن بإمكانها أن تتجاوز ٢٠٠ كلم أي ١٠٠ كلم عمليا، إن هذه العربات يلزمها ضرورة أن تعود إلى قواعدها وتستهلك في الأقاليم الصحراوية أربعين لترا في المائة كلم بسبب الضياع والتبخر.

ليس هناك شيء أكثر إغراء من أن نتصور طائرة منطلقة في البحث تباغت الغزاة في ثنايا الكثبان أو في القيعان الفسيحة تفرق جمعهم بوقع القنابل والرشاشات، بينما تقوم الرشاشات الآلية التي تتلقى الإنذار بواسطة *TSF* بتقصي آثار الغزاة الهاربين فترغمهم على العجل وتكمل هزيمتهم بإطلاق نار الرشاشات عليهم من مسافة قريبة.

إذا كان استخدام واحدة من هذه المعدات ممكنا فإن أمر المنشقين سيتم حسمه، ولكن الواقع أمر آخر.

حالة جيدة أن تتم زيارة كل كتيبة دوريا من قبل خبير في الاسلحة وأن تكون هناك اسلحة اوتوماتيكية احتياطية لدى المراكز تستبدل بها تلك الاسلحة التي تذهب للتصليح.

لقد اقترحنا[1] أن يستبدل القسم الراكب على الجمالة بعربتين ءاليتين مزنجرتين في مطاردة الغزاة.

وهذه الآليات، إما أن تكون مزودة بدرع بسيط وإما مصفحة بالكامل، بيد أن الدرع لا يمنح حماية كافية ضد الغزاة الممتازين في الرماية والذين سيطوقون العربات ويقتلون أفرادها. ولو سلمنا بانه لن يحصل أي تعطل يترك هؤلاء الأفراد عزلا من السلاح في مواجهة العدو.

ففي سنة ١٩١٨ هوجمت بعثة من الضباط الطيلرين كانت مكلفة بالتعرف على المواقع الصالحة لهبوط الطائرة بين وركلة وعين صلاح، وكانت بعثة قوية مؤلفة من زهاء العشرة من الفرنسيين، محمولة على سيارتين ءاليتين، وقتل جميع أفرادها في النواحي القريبة من عين صلاح.

وأما العربة المصفحة بالكامل فإن أفرادها سيكونون في مأمن من الضربات، إلا أنه في البلاد التي تتجاوز درجة الحرارة فيها أحيانا ٥٠ في الظل، حيث يكون من المستحيل ملامسة القطع المعدنية باليد في الظل؛ بل سيتم طهي اليد قبل التشغيل. وعليه فإنه يجب عدم التفكير في استخدامها إلا في فترات خاصة مناسبة من فصل البرد؛ الفصل الذي هو حقيقة فصل النشاط الأكبر للغزاة.

---

(1) مساهمة في دراسة حول الدفاع عـن التخـوم وتـشكيلات الجمالـة (المـلازم Raynal دورية الفرق الاستعمارية يوليوز اوكتوبر ١٩٢٤

هذه الآليات فضلا عن ذلك لاتملك إلا دائرة نشاط غير كافية، بيد أنه لا يمكن التفكير بأن بإمكانها أن تتجاوز ٢٠٠ كيلومتر[1] أي ١٠٠ كيلومتر عمليا، إن هذه العربات يلزمها ضرورة أن تعود إلى قواعدها وتستهلك في الاقاليم الصحراوية أربعين لترا في المائة كيلومتر[2] بسبب الضياع والتبخر.

ومن المستحيل فعلا أن نفكر في إنشاء مستودعات للبنزين شمال آدرار، المناطق التي سنستخدم فيها هذه العربات لأن هذه المستودعات ستكشف من قبل المتمردين الذين تصلهم الأخبار بفضل رسلهم الموجودين داخل المخيمات الخاضعة، وخاصة الأخبار المتعلقة بنا نحن.

ولنفرض مع ذلك أننا حاولنا مطاردة الغزاة اعتمادا على هذه العربات الرشاشة؛ يمكن أن نتصور طريقتين لتشغيل هذه الأليات،إما وحدها وإما مع الجمالة والطريقة الأولى طبعا أكثر مناسبة، لانها تستفيد من الميزة الأساسية للعربات ألا وهي السرعة، مما يمكن في بعض الحالات من اللحاق بالعدو في دائرة النشاط الضيقة التي تملكها، ولكن ما ذا يمكن أن تصنع عرباتنا ضد

---

(1) مع الحمولة الزائدة من براميل البنزين المحمولة أو المسحوبة والتي لايمكن أن تكون محدودة الاهمية بسبب طاقة الاليات الرشاشة الحالية.

(2) بالمقارنة مع العربات العادية سكون استهلاك المصفحة أكثر بكثير ففي البلاد الصحراوية يمكن أن يصل الاستهلاك إلى ٧٠ لترا للعربات المزنجرة العادية (بعثة Courtat)

جيش من ١٥٠ من الجمالة الذين يهربون في كل اتجاه بمجرد الاقتراب منهم زرافات صغيرة ووحدانا عند الضرورة بكل سرعة، ليتكونوا من جديد بعيدا عندما تصبح العربات مضطرة إلى أخذ طريق العودة بسرعة بعد مطاردات فردية. وليس بإمكان هذه العربات عند الحاجة أن تعيد إلى الحظيرة السلب الذي يتركه الغزاة فكيف يمكن لعربتين أن تسوقا قطيعا من الجمال؟. لا شك أنهما ستتركانه في محله ليأتي الغزاة ويأخذوه من جديد بعد ذهاب العربتين.

والطريقة الثانية للاستخدام بالتنسيق مع الجمالة لا يبدو أنها ستعطي نتائج أحسن، ذلك أن سرعة العربات لم تتم الاستفادة منها وفرص ملاحقة الغزاة ستتقلص، ولنفرض أن مطاردة مماثلة نجحت، فالعربات ستنطلق من آخر لحظة وستوقف الغزاة بفعل إطلاق النار في انتظار وصول الجمالة.

فكيف نأمل أن نوقف بفعل إطلاق النار من الرشاشتين ١٥٠ بدوا يمتطون الجمال؟

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا مشاكل التشغيل وإمكانيات تعطل هذه الآليات في بلاد الرمال، إذا لم تكن هذه الآليات قد أعدت للقيام بغارة كبيرة، ومصحوبة بطاقم فني متخصص يراقبها.

فالتجربة التي حصلت في الجزائر يبدو أنها ناجحة في هذا الصدد؛ خمس عربات مزنجرة، رشاشة تم وضعها تحت التجربة

في إقليم عين الصفرة. وخلال عدة أشهر كانت العربات الخمس خارج الخدمة وطلب استبدالها بخمس عربات أخرى من طراز معدل طفيفا وهذه الأخيرة لم يتم تسليمها بعد[١].

إن هذه التجارب الاولية تعطي دليلا لا نقاش فيه بأنه من الناحية الفنية، فالسيارة الصحراوية ليست جاهزة بعد[٢] وأنه من الحذر بالنسبة لإفريقيا الغربية الفرنسية التي لا تملك إلا وسائل ضعيفة أن تنتظر قبل أن تقدم على تجارب مكلفة نتائج تلك العربات التي تعمل حاليا في الجنوب الجزائري.

---

(1) مايو ١٩٢٥

(2) السيارات الاولى التي تم وضعها قيد التجربة سنة ١٩٢٤ في اقليم عين الصفرة والتي لم يفكر في استخدامها إلا في النقل، أعطى استخدامها الملاحظات التالية:

- ضعف الموتور(١٠ أحصنة)
- استهلاك زائد من البنزين، أكثر من ٤٠ ليتر في المائة كيلومتر(بسبب طبيعة الارض والتحام الزنجير معها مما يستوجب حتما استخدام السرعة الثانية)
- سرعة منخفضة: ١٠ كيلومتر في الساعة في المتوسط
- صغر دائرة النشاط: ٦٠ كيلومتر، ولا يمكن زيادتها بزيادة مخزون البنزين، فالحمولة العادية ٧٥٠ كيلوغراما (بما فيها السائق) يجب أن تخفض بحمولة ميتة إي حوالي ٤٠٠ كيلوغراما تمثل التموينات والاحتيلطات بكافة انواعها والتي يجب أن تزود بها السيارات التي تقوم بجولات مهمة.
- هشاشة المعدات: تعطلات كثيرة تتطلب تدخلات بواسطة الجمال.
- هشاشة الزنجير: الذي يندثر في الاراضي المحصبة (غالبا في الصحراء) بسرعة فائقة، فالزنجير يصبح خارج الخدمة في مثل هذه الاراضي بعد قطع مسافة ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ كيلومتر.

النقص في السائقين: فرقابة وصيانة نظام الدفع يتطلب معرفة فنية أعمق من تلك التي عند السائق العادي2

ونظرا للاندثار السريع جدا للزنجير في الأراضي المحصبة والصخرية، ومن جهة أخرى نظرا للميزة الكبرى للعجلة في هذه الأراضي نفسها من حيث السرعة والاستهلاك والحمولة وسهولة القيادة، هذه الآليات المركبة وحدها يمكنها أن تعطي نتائج مرضية في كافة أنواع أراضي الصحراء.

ولننظر الآن إلى استخدام السيارة من وجهة نظر أخرى مختلفة، وهذا التخفيف الذي يجلبه استخدامها ـ كما يقال ـ على مهمة الجمل، هذا الحيوان الذي بدأ يندر في الصحراء، فالحصول على مطايا للجمالة أصبح حقيقة صعبا، فقبائل الشمال المنشقة وحدها الغنية بالجمال.

وفي قبائلنا الخاضعة تشهد الثروة الحيوانية من الجمال أزمة تزداد يوما بعد يوم والزوايا يهجرون تنمية الجمال ويقبلون على الأبقار والاغنام الأكثر مردودية.

ولكن استخدام الرشاشات بالعربات الآلية مع الجمالة يتطلب تموينا بالبنزين مهما، ومن يحمل هذا البنزين إلى آدرار؟ ومن يحمل المخزون من زريبة إلى زريبة؟ وإذا فرضنا إمكانية إنشاء مستودعات مؤقتة للبنزين على طول خط العودة للعربات التي تذهب في رحلات طويلة، فمن يقوم بمهمات الحمل الضرورية غير الجمل والجمل دائما؟.

ومع ذلك يقولون إن السيارة جاءت لتقهر الصحراء خلال سلسلة من الجولات المدوية، ودور الجمل أصبح فيما يبدو منتهيا. إنه من العجلة أن نخلص إلى ذلك، نعم لقد تم القيام بجولات ولكنها ليست سوى جولات. لقد عبرت العربات والطائرات الصحراء ولكن لنجاح هذه التجربة كم كنا نحتاج إليه من مئات وآلاف الجمال.

لا نقول أن الطائرة والسيارة قد عبرتا الصحراء، ولكن الطائرة والسيارة بمساعدة من آلاف الجمال قد نجحتا في عبور الصحراء، وهذا مختلف تماما عن ذلك. بيد أنه بدون هذه الحيونات النفيسة من المستحيل في الحالة الراهنة لهذه الآليات التي نملك أن تتغلب على العقبات، وبفضل التقدم العلمي ستتغير الوضعية قطعا في المستقبل البعيد نسبيا، ولكنه من الخطا أن نتصور أنه من الآن يمكن استخدام السيارة في إقصاء الجمل بل العكس!

هناك مشاكل كثيرة يجب حلها لتحل الماكينة محل سفينة الصحراء، وتتخلص نهائيا من معاونها النفيس ذي السنام.

فالعربة والجمل سيبقيان متكاملين لمدة طويلة، ولن يقصي أحدهما الآخر. "فالسيارة كما يقول بحق الرائد *Duclos* هي أداة الربط والقلوص سلاح المطاردة والجمل بالاقتاب جهاز التموين؛ إنه ممون جيد يحمل براميل البنزين بدون حقد".

وإذا كنا من جهة أخرى نراعي وجهة النظر المالية، فإن استبدال قسم من الجمالة بعربتين مزنجرتين برشاشة من شأنه أن يضيف أعباءا إضافية، فالسعر الحالي للعربات الرشاشة المصفحة ـ حسب آخر تجربة جزائرية قد تكون عابرة ـ يناهز ٨٠٠٠٠ افرنك، يضاف إليها مصروفات الصيانة والإصلاح، والتموين بالبنزين سيكلف نقله إلى وحدات الجمالة تكاليف باهظة بينما لا يكلف الجمل شيئا من الصيانة.

ويبقى لنا أخيرا أن نعالج المشكلة التي ربما تكون أشد المشاكل استعصاء على الحل؛ إنها مشكلة العاملين. يجب أن لا ننسى أن المعدات مهمى تكن، لا قيمة لها إلا بحسب العمال الذين يستخدمونها، ذالك أن معدات العربات المزنجرة معقدة وتتطلب يدا عاملة مختارة يكاد اكتتابها يكون مستحيلا في الوقت الراهن، وعليه فإن كل النفقات التي صرفت في شراء هذه المعدات وتشغيلها يوشك أن تكون بدون طائل إذا لم نحصل على يد عاملة ملائمة لتشغيلها.

فالجزائر أزمعت استخدام يد عاملة شابة متطوعة من شركتي *Citroen* و*Renault* رغبة في ممارسة الخدمة العسكرية في الوحدات المستخدمة للعربات الآلية في إفريقيا الشمالية. وفضلا عن التعويضات الخاصة؛ إنهم يمكن أن يتقاضوا تشجيعات من شركاتهم التي ستجد وسيلة لتكوين سائقين مختصين لتشغيل الخطوط المدنية الصحراوية.

وإفريقيا الغربية لا يمكنها أبدا الاعتماد على هذا المصدر للاكتتاب[1]، وفضلا عن ذالك؛ ماذا يمكننا أن نستفيد من هذا المصدر على المدى القصير؟

يبدو أن الوقت لم يحن بعد لأن نتوقع لوحداتنا الجمالة استفادة كبيرة من تشغيل هذه العربات الرشاشة، ولن يتم استخدام هذه المعدات فيما يبدو في الأقاليم الصحراوية وخاصة في موريتانيا إلا في بعض خطوط الربط، ـ حيث يتطلب التموين بسرعة ـ وبعد مدة طويلة.

ربما ستقوم العربات المزنجرة ببعض الخدمات للجمالة إذا استخدمت السيارات *TSF* في حالة ما إذا تم تزويد الفرق المتنقلة بأجهزة محمولة، وسيتم تسهيل مشكلة النقل للمعدات وبناء المواقع.

والطائرة مثل العربة لن تكون في وضع إمكانياتها الحالية مستخدمة في تخومنا الموريتانية لشيء، غير الربط والاخلاء والتمويلات المستعجلة.

---

(1) هذه المعدات(طائرات وعربات) التي يجب ضرورة التمسك بها احتياطا في بعض النقاط، تتطلب من تنظيم للورشات وقطع الغيار والعاملين المختصين ما لا يمكن توفيره في تخومنا بيد أننا سبق أن تعبنا كثيرا في صيانة اجهزة TSF وحتى في دكار حيث مركزة الامور يتم اكتتاب العسكريين العاملين بصعوبة بالغة(الجنرال Claudel القائد الاعلى للفرق في افريقيا الغربية الفرنسية ١٩٢٣)

واستخدامها يتطلب طبعا أرضية للهبوط وتموينات وورشات للإصلاح ووسائل للتغلب على العطل بسرعة، وهو ما لا يمكن أن يحصل إذا نظرنا إلى الاستخدام الهجومي في الأقاليم التي تعتبر تدخل الطائرات فيها ضد الغزاة الأهم؛ أي شمال خط مواقعنا المتقدمة.

فلن نزمع إذن استخدام الطائرة ضد الغزاة إلا في حدود دائرة النشاط الممكنة حول قاعدتها، ذلك أن الطائرة التي نملك حاليا في إفريقيا الغربية الفرنسية تضطر للهبوط بعد كل رحلة من ٤٠٠ كلم في المتوسط، وذلك بهدف التزود بالوقود. فدائرة نشاطها حول قاعدتها عمليا تقارب ٢٠٠ كلم، وخاصة في الشمال حيث لايمكن إنشاء مستودعات للبنزين، مما يضطرها إلى العودة لتهبط في موقع انطلاقها. ويجب أيضا أن ناخذ بعين الاعتبار الرياح العاتية جدا التي تسود غالبا في هذه الأقاليم متسببة فى بعض التأخر في المواقيت المقررة، وليس من الحذر أبدا الإقلاع في رحلات ذات سرعة قصوى.

ذلك أنه لو فرضنا أن دائرة النشاط الفعلي للطائرة محدد بزهاء ٢٠٠ كلم حول قاعدتها، فإنه في الأقاليم التي تهمنا لن تمنح هذه الدائرة للطائرة إلا خدمة مشكوكا فيها. إذا اعتبرنا أن هنالك قاعدتين ممكنتين مثل أطار وتمبكتو مثلا تبعدان عن بعضها البعض ١١٠٠ كلم، وأن إقليم الشاطئ الأطلسي الذي يجوبه الغزاة ـ غالبا ـ

المستفيدون من الحصانة التي يمنحهم إياها وادي الذهب لا يبعد من أطار أقل من ٤٠٠ كلم.

ويجب أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار مخاطر التعطل في عرض الصحراء والمشاكل الخاصة الناتجة عن الظروف المناخية والجوية في الأقاليم الصحراوية وخاصة الرياح المحملة بالأتربة، ألد أعداء الطائرة في هذه الأقاليم. إن هذه الرياح التي تهب غالبا وتستمر بعض الأحيان أياما كاملة، تمتد إلى مئات الكلومترات وتظلم الجو نهائيا بسرعة. إنه نحس الطائرة الذي يجعلها تستسلم للرياح الملعونة؛ إنها تعمي فورا في الضباب الكثيف ولا يمكنها الأمل في الفكاك، وليس أمامها إلا مخرج واحد هو الهروب بسرعة عند الإحساس بالخطر أو الهبوط بأسرع وقت يمكن إذا لم يمكن الهروب.

ولنفرض مع ذالك أن غارة تغامر في دائرة نشاط الطائرة وأن الطائرة استطاعت أن تكتشفها مما يعني وجود مصادفة مفرحة والحصول على معلومات محددة، لكنها في الغالب تتخلف، بيد أنه في مثل هذه المسافات بين المواقع ينتقل الغزاة، بسرعة بينما لا تملك الطائرة كما ذكرنا إلا وقتا عمليا محددا، ولن تضيع وقتا كثيرا في البحث عنهم. ماذا يمكن للطائرة أن تصنع؟ ... إلقاء قنابل والهجوم على الغزاة بالرشاش؛ إن الغزاة سيتفرقون مؤقتا ليتشكلوا بعد ذالك بقليل فور عودة الطائرات المرغمة على اللحوق بقاعدتها.

إن إطلاق النار من الطائرة على الغزاة حقيقة يمكن أن يعطي نتائج، ولكن يجب ألا نبالغ فيها، ذلك أنه بغض النظر عن المشاكل الناتجة عن تفرق الغزاة وسرعة هروبهم ، يجب أن لا ننسى أن البيضان هدافون ممتازون وأن أهل الشمال الذين هم أصحاب القضية ضدنا على علم تام بما جرى أخيرا في المغرب الإسباني ولا يجهلون أن الريفيين قد أسقطوا العديد من الطائرات، ولذالك فإنهم لن يترددوا عند الاقتضاء في مقاومة هذا العدو الجديد[١].

في أحدث دراسة حول التكتيك الصحراوي والمعدات الحديثة يبين العقيد *O.Meynier* الخطوط العريضة لمبادئ التنظيم المستقبلي للأمن الصحراوي المؤسس على الاستخدام المزدوج

(1)"يجب ألا نبالغ في الخدمات التي يمكن للطائرات أن تقدمها من الناحية الامنية مادام الطيارون يحتاجون إلى معلمة للاهتداء.

"سيتعب الطيارون كثيرا في اللحاق بالغزاة الذين تخبر عنهم الجمالة، وإذا لحقوا بهم وقصفوهم فيوشك أن لا يتمكنوا من العودة إلى قواعدهم.

"أعتقد إنه ـ حتى إشعار جديد ـ يجب أن يقتصر دورهم على الاستطلاع ومهاجمة الاعداء في نقاط محددة: واحات، مواقع، آبار مهمة موجودة على طريق معلمة.

"عندما نتجاوز الدراسة العملية للمشكلة تعترض طريقنا عراقيل متعلقة بالطيران، هذه العراقيل التي ليست في متناول سكة حديدية ولا في بلد تتوفر فيه الطرق المسلوكة من قبل الشاحنات، تصبح في الصحراء مزعجة جدا ويزداد ازعاجها أكثر كلما ابتعدنا أكثر من السكة الحديدية ....

إن قضية الرغبة في الطيران في الصحراء خارج المسالك الجوية المعروفة والمبينة على الارض دون التعرض لخطر الموت المحتوم فيما يبدو لي أساسية" تدريب المرشدين المراقبين المحليين (النزال Laperrine)

للطائرة والسيارة وأجهزة الاتصال *TSF* وهو أمر يبدو أنه أصبح منذ اليوم ممكنا في الصحراء.

ومع ذلك فان ما يمكن إنجازه في الصحراء الوسطى لايمكن أن يكون كذلك في موريتانيا، ففي تلك نجد أنفسنا أمام تنظيم عميق متواصل من طرف إلى طرف آخر من الصحراء، وأمام شبكة من المواقع تشكل أكثر من تقوية وأمام قواعد للتموين والإغاثة. فهذه المعدات العصرية التي لا تزال معقدة وكثيرة المتطلبات التي هي الطائرة والسيارة. لهذه المواقع التي تشكل نقاط ربط للقوى المتحركة لتمكينها من التدخل فورا في أي نقطة من نقاط الشبكة.

في موريتانيا الوضعية مختلفة تماما، فآدرار يشكل جبهة متقدمة لا يوجد أمامها على امتداد ١٥٠٠ كلم إلا الفراغ، واستخدام المعدات العصرية يبدو هنالك إذن أكثر صعوبة لأنه لا توجد محطات ربط نحو الشمال مما يرغم هذه المعدات كل مرة تغادر فيها قواعدها على العودة بسرعة خشية حدوث كوارث حقيقية.

ومن المناسب إذن، عند احتمال تخلف الخدمات التي يمكن أن تقدمها حاليا هذه المعدات من حيث الهجوم، أن نتساءل حول ما إذا كانت المزايا التي يمكن الحصول عليها من استخدام هذه المعدات تمكن موازنتها مع المشكلات المادية التي تسببها صيانة هذه المعدات والمصروفات الباهظة التي تنتج عن ذلك.

فضلا عن ذلك فان التحسينات وإضافة التطويرات الحديثة للسلاح لتقوية وسائل الجمالة تكمن في توفير أجهزة إرسال واستقبال محمولة للجمالة.

إن تنظيم دفاعاتنا في موريتانيا يجب أن يتأسس على لمعلومات وإيصالها بسرعة، ذلك أن المعلومات القابلة للاستغلال يصعب الحصول عليها جدا في الأقاليم الصحراوية بسبب بعد المسافات وحركية العدو.

إن مفارزنا الجمالة المعزولة في عرض الصحراء لا يمكن إيصال المعلومات إليها إلا عن طريق وسائلها الخاصة للمراقبة، أو عن طريق البريد القادم من المواقع، أو بواسطة رسل محليين من المخيمات. ولكن بالرغم من التعويضات التي يمكن أن تدفع لهؤلاء الوكلاء في حالة الحصول على معلومات مؤكدة وقابلة للاستغلال، فإن هنالك فارقا في الزمن من عدة أيام يمكن العصابة الغازية من قطع مسافة زهاء المائة كلم، وغالبا ما تكون كل محاولة لمطاردتهم غير مجدية بسبب هذا التأخير.

وبفضل أجهزة الاتصال *TSF* يمكن للمعلومات أن تصل لحظة بلحظة، فالمراكز الكبرى في أكادير ومراكش وتمبكتو وريفكس وانواذيبو وأطار وشنقيط تشكل العمود الفقري الثابت لشبكة واسعة تنتقل داخلها المواقع المتحركة للجمالة، ويشكل هذا النوع "بيت العنكبوت الذي يصدر الإنذار ويمكن من محاصرة العدو". إن سرعة

إنجاز ايصال المعلومة إلى الفرقة المكلفة باستغلالها هي الضمان الأمثل للنجاح ويحسن أداء وأمن وحداتنا الجمالة بنسب معتبرة.

إنها لن تستقبل فقط المكالمات من المراكز الكبرى ولكنها مع ذالك ستظل على صلة وربط فيما بينها، إما مباشرة وإما بواسطة موقع كبير مجاور. وعند الاقتضاء مد يد المساعدة أو الإبلاغ عن الوضعية وتلقي الدعم مثلما حصل في معركة الطريفية حيث حوصرت الوحدة خلال ثلاثة أيام وثلاث ليال.

إن هذه الاجهزة المحمولة التي ستزود بها وحداتنا الجمالة، يجب أن تكون ذات مدى لا يقل عن ٣٠٠ كيلومتر بأقل حجم ووزن ممكن.

من وجهة النظر هذه، فإن المعدات التي يمكن أن نحصل عليها حاليا لا ترضي تماما، وربما يكون من المهم البحث عن إمكانية استخدام الموجات القصيرة لتشغيل معدات أكثر بساطة وأشد خفة وتعطي نتائج لم تكن منتظرة منذ أن تم تجريبها في المسافات البعيدة[1].

إن قضية الأجهزة المحمولة تهم في ذات الوقت إفريقيا الغربية وإفريقيا الاستوائية والجزائر من أجل ضمان أمن التخوم والمغرب وبلاد المشرق بالنسبة للأرتال الطائرة التي يمكن أن تعمل هناك.

---

(1) جهاز صغير من ٢٠٠ واط في Issy-les-Moulineaux للاتصال مع ديبوتي سمع في هانوي أي حوالي ١٠٠٠٠ كيلومتر

يبدو أنه من المهم وضع برنامج لمجموع حاجات مختلف الأقاليم والاتصال بالمؤسسة المركزية للمعدات الراديو تلغرافية والعسكرية.

إنه مهما يكن السلاح الذي تمتلكه وحداتنا المتنقلة، فإنه لاقيمة له إلا بحسب أولئك الذين يكلفون بتشغيله، وهنا نمس المشكلة الكبرى لتشكيل وحدات الجمالة وتأطيرهم.

"إن ضمان أمن الصحراء مهمة الأمن الصحراوي كما يقول السيد الحاكم *Bonam* [1]: في هذا الموضوع يوجد تصوران في الصحراء؛ التصور الافريقي الشمالي والتصور الاستعماري أو السوداني.

التصور الأول المستوحى من الفكر العبقري للجنرال *Laperrine* يتلخص في مواجهة الغزاة بتشكيلات مكونة من رجال من نفس العرق متمرسين مثلهم بالحياة الصحراوية، متحلين بالصبر، بإمكانهم استخدام طرق المعركة نفسها. إن هذه التشكيلات التي قامت السرية الصحراوية بإنجاز نمطها تؤطر من قبل ضابط وضباط صف مختصين، فرق أقل عسكرية متخلصون من عراقيل الأرتال العادية ليكونوا شديدي الحركة، فالسراسا الصحراوية برهنت على نجاحها في زمن السلم وفي زمن الحرب وأعطت نتائج جيدة.

والتصور السوداني مختلف تماما؛ إنه يتأسس على استخدام القناصة السنغاليين الممتطين الجمال والذين أريد منهم على غير حق أن يكونوا جمالة.

---

(1) Bonamy طرفا الصحراء.

إن الأسود الذي هو جندي ممتاز في بلده الأصلي يصبح مساعدا رديئا في البلاد الصحراوية، حيث يئن من الجوع والعطش والبرد والحر الجاف، ويستوجب استخدامه قواقل من المؤن والماء تثقل المسير. والأسود غير قادر على اقتفاء الآثار والاهتداء دون دليل، إنه جمال رديئ ويجهل العلاجات الضرورية لحيوان معقد مثل الجمل، ويضاف إلى ذلك أن الضباط وضباط الصف الذين يقودون، غالبا ما يكونون عديمي التدريب في مهارات اختصاصية، وعليه يصبح أداء هذا الجهاز المكلف متوسطا. إنه من الضروري التخلي عن هذه الطرق البالية وتبني النظام الجزائري بصراحة".

وفيما يبدو لا توجد هنالك تصورات بل تصور واحد فقط، ذلك أن الجميع متفق على ضرورة مواجهة البدو ببدو آخرين في أقاليم صحراوية حيث ظروف عيش خاصة جدا، متكيفين مثلهم ويملكون نفس المعلومات ونفس المعرفة لا للبلد فقط وإنما للجمل كذلك، فهو عنصر لا يستغني عنه الصحراوي[1].

---

(1) ان مطاردة الغزاة ليست حربا عادية، بل هي حرب صحراوية خاصة يجب أن يكون لدى الدركي نفس القدرات التي عند الناهب، أن يكون بمقدوره اكتشاف حيله والتعرف على أثره وتتبعه خلال أيام وأيام والتعرف عليه قبل اطلاق النار عليه، إن الفرنسي ولو كان متأقلما مع الوسط لا يمكنه أن يميز عدوا من صديق إلا عن = = طريق الرصاص الذي يتلقاه منه، إنه يجب أن يقيم أوده مدة ٨ إلى ١٠ أسابيع من زاد الكيس الصغير المحمول على جمله؛ يجب أن يعرف كيف يطلب من قلوصه أحسن أداء دون أن يهلكها، ذلك الحيوان المتناقض والمحبط فهو شديد الزهد في

ولكن الوضعية من ناحية اكتتاب الجمالة تختلف من شمال الصحراء إلى جنوبها، ففي الشمال هناك الجزائريون الشامبا والتوارك الذين هم كما يقال أشداء ومخلصون. ولديهم شرف خاص في احترام الالتزام، وأما في الجنوب فالبيضان على العكس من ذالك فإنهم يعرفون كيف يكونون أشداء إذا أرادوا ولكنهم خانونا وخدعونا أكثر من مائة مرة.

وليس عن رغبة عاطفية أن يكون الجمالة في الطرف الجنوبي من الصحراء يستخدمون السود ذوي الوزن الثقيل دون شك بل لأنهم حتى الآن ليس باستطاعتهم غير ذالك. ولأنه من أجل البقاء في هذه البلاد علينا أن نواجه النفاق والمكر لدى البيضان (هذا المكر الذي يصل إلى الحد الذي لا تعلم معه أبدا متى سيكون القومي *Goumier* الذي سلحناه ويخدمنا الآن غدا في صفوف أعدائنا) أن نواجهه بإخلاص لا ريب فيه لدى هؤلاء السنغاليين وأن نواجه طريقة الحرب عند البضان الذين يعدون الهرب محمودا إذا كان النجاح مشكوكا فيه، بصلابة هؤلاء الرماة القناصة الذين يفضلون الموت حتى النهاية على الهرب مهمى يكن عدد المهاجمين.

وإذا كان لا بد أن نذكر أمثلة عديدة بين أمثلة كثيرة أمدتنا بها دراسة في التوغل في موريتانيا نذكر مثالين فقط، أحدهما وهو الاخير في مارس ١٩٢٥، تمرد ثلاثة من البيضان من كتيبة جمالة

الاكل والشرب وهو مع ذالك ذواقة وجشع وفي النهاية يجب مواجهة بدو صحراويين ببدو صحراويين (الرائد Duclos الصحراء بالامس واليوم)

آدرار رغبة في اللحاق بمتمردي الشمال مصطحبين معهم السلاح والأمتعة وزهاء ٣٠ جملا من جمال الكتيبة. وفي سبتمبر ١٩١٣ لدى بوتليس هوجم حرس المراعي من قبل جيش أكثر منهم عددا فهرب البيضان فورا وتواروا وراء الهضاب المجاورة وشكل القناصة الموجودون المربع وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم بعدما كبدوا العدو خسائر فادحة.

"البرابرة وخاصة من منهم في الشمال متلونون غالبا، ففي زمن الاحتلال الروماني والاستعمار البيزنطي كانوا غير مؤكدين منتقلين غير ثابتين في السياسة ولا في العقيدة.

فابن خلدون مؤرخهم الكبير يدعي بأنهم في زمنه هو حصلت منهم الردة سبع مرات وهذا التلون لم يتغير فقبائلنا الذين هم في غاية الشجاعة يخضعون ويتمردون دون مبالاة ولا اكتراث[1].

وأما القناصة السنغاليون فهم على العكس، فقد كانوا لنا خلال الحملات الاستعمارية مساعدين منقطعي النظير. وفي منطقة صحراوية كان لنا الحق ـ إن كان ذلك ضروريا ـ في أن نكون متأكدين من إخلاصهم، بيد أنهم في هذه البلاد يعتبرهم السكان الأصليون أعداء، وهم متروكون ومتأكدون من الهلاك بسبب العطش، ولكن الهرب والفرار محرمان عليهم.

---

(1) Marquis de Segonzac ١٩٢٥

"إن البيضان كما يقول الجنرال Gauraud[1] هم طبعا أكثر قدرة من السنغاليين على مهنة الجمالة، ولكن ليس من الحذر إسناد مهمة حراسة أقاليمنا للبيضان وحدهم. إنهم ماضون معنا اليوم وموالون لنا لأننا برهنا على أننا الأقوياء ونحن سنبقي كذلك بالاستقلالية عنهم أي بفرقنا السوداء. إن هذه البلاد ستتطور دون شك كسائر البلاد ولكنه في الوقت الراهن يكون من الضروري أن تاتي هذه الفرق السوداء لتضيف قوتها وإخلاصها إلى حركية التشكيلات البيضانية وخبرتهم في الصحراء فدورهم بهذا الخصوص يمكن أن يقارن بدور الاحتياطي من البيض في مستعمرات أخرى".

ومن جهة أخرى يقول الصحراوي العقيد *O.Meynier* الذي يعرف طرق الصحراء، إن القيمة الصحراوية لهذه العناصر المتباينة نوعا ما ليست دائما متساوية، فان نجاحات السوادانيين في الصحراء كثيرة من غير شك، إن إخلاص وشجاعة القناصة السنغاليين والسودانيين يعوض النقص في معرفتهم بالصحراء والجمل، فعندما يصل الضباط الذين يقودونهم إلى إتقان هذه الوسائل البشرية بفضل طول المدة أو تجديدها في نفس الأقاليم من الصحراء فسيحصلون على نتائج".

الجميع إذن موافقون على هذه النقطة : في الصحراء لن يستوى الأسود أبدا مع البدوي؛ إنه مع ذلك حري بأن يقدم خدمات جلي

(1) Gauraud السلم في موريتانيا

ولكن بسبب الطابع الخاص لسكان الطرف الجنوبي من الصحراء لا يمكننا أن نفكر في الاستغناء عنه. إن السنغالي هو الذي يشيع داخل كتائبنا الجمالة جو الأمن الضروري لحرية فكر القائد وثقته بفرقته.

فيما يخص البيضان "بالرغم من أن الطابع التمردي للبدوي لا يتلاءم مع الخدمة العسكرية. إن البيضان يشكلون في الوحدات الموريتانية العنصر النشط الحركي الذي يكلف بألف مهمة تفصيلية من الحياة الصحراوية، وفي ذات الوقت بالمراقبة عن بعد وبالعمليات الصغيرة ضد الغزاة.

ويجب أن يتم اختيارهم بحذر شديد وأن يكونوا محل رقابة لا تنقطع نظرا للخدمات العديدة التي تنتظر منهم.

تتألف الكتائب الموريتانية من ثلث من البدو لديهم نظامهم الخاص وسلمهم ونظام تقاعد نسبي بعد خمسة عشر سنة من الخدمة، وثلثين من القناصة السنغاليين؛ فهل هذه النسبة كافية؟ وهل من المفيد أن نزيد عدد البيضان؟ إنه على ما نعتقد من غير الحزم مادام الغزاة يستهدفون ـ كما كانوا يفعلون في السنوات التي خلت ـ تدمير هذه الكتائب.

وأما عن إنشاء وحدات جمالة مؤلفة من البدو وحدهم فهذا الإجراء فيما يبدوا لنا سابق لأوانه وذالك لنفس الأسباب، على الأقل فيما يخص موريتانيا المعرضة لهجومات الحركة القادمة من جنوب المغرب.

إن الإخفاق المؤسف لتشكيل كتيبة جزائرية بدوية سنة ١٩٢٤ والمؤلفة من الشامبا[1] النواة التي كان يراد أن تنضم إليها عناصر مكتتبة محليا لا يشجع على سلوك هذا الاتجاه، ومع ذالك يجب أن نعترف بأنه في الحقيقة يبدو هذا الإخفاق عائدا في مجمل أسبابه إلى ظروف اكتتاب هذه الكتيبة.

لقد كانت آمالنا مؤسسة على الشامبا الذين هم أصحاب سمعة جيدة فيما يبدو لنا. ولكنهم ما إن وصلوا إلى إقليم أوران حتى رفضوا الخضوع لإجراءات الأمن المقررة في وحداتنا الجمالة في الجنوب والتي يفرضها تواتر الغارات وجراءتها مما يجعلها في حالة استنفار دائم.

إن هؤلاء الشامبا يجدون من المبالغة والمغالات الأوامر الإلزامية التي صدرت إليهم ب"القيام بالحراسة وقوفا " والاضجاع مجهزين بالسلاح المحمل قريبا منهم. لقد رفضوا القيام بخدمات السود. لأنهم جاؤوا من أقاليم دخلت في السلم منذ القدم بعيدا عن طرق مرور الغارات.

ومع ذلك فإنه في كتائبنا الجمالة يقبل الحرس البيضان مراعاة الخدمات الواجبة التي يؤمرون بها من الناحية الأمنية، بالرغم من

(1) لقد أسندت قيادة هذه الكتيبة من قبل السلطات الجزائرية للملازم Bourgougnoux من فرقة المشاة الاستعمارية؛ شاب، ضابط صحراوي، تكون في الجزائر وعليه فهو خبير في بالشامبا وقد عاش بينهم قائدا منذ سنتين تقريبا وقد كان اختياره حسب هذه السلطات ضمانا للنجاح.

النفور الفطري لدى البدو من كل إذعان وسائر أنواع الانضباط القسرية.

فهم في كل مساء وقوف مع طول مواجهة المربع الذي يكلفون بحراسته ويستجيبون لنداء العريف الأول ويعبؤون أسلحتهم ويضجعون لقضاء الليل في خنادقهم الفردية، واليد في مقبض الزنا د من بندقيتهم *Carabine*.

ويتولون كذلك الحراسة في دورية النهار ويقضون ستة أشهر من كل سنة في مفارقة لزوجاتهم.

كل هذه الإجراءات تعتبر واجبة في تخومنا الجنوبية بصورة دائمة في مقابل غارات الغزاة، ولكن فيما يبدو أن الشامبا الذين يشكلون هذه الكتيبة لم يكونوا على علم من ذلك، بالعكس لقد أعطيت لهم وعود لم يتم الالتزام بها، من أجل إقناعهم بالنزول إلى الجنوب وهذا ما يفسر إحباطهم.

وعلى كل حال فربما يكون من اللازم البحث عن السبب الرئيسي في عدم نجاح هذه المحاولة في طريقة اكتتاب الكتيبة البدوية. فقد تم فعلا عن طريق عينات من السرايا الصحراوية، بيد أنه من المؤكد أن إنشاء تجمع ما من خلال عينات من وحدات أخرى، لا ينتج في الغالب إلا جمعا من المرفوضين وغير المرغوب فيهم من تلك الوحدات.

يجب إذن أن لا نبالغ في الاستغراب بأنه بعد أن حصلت صعوبات في إخضاع هؤلاء الشامبا لانضباط الجمالة السودانيين فان ٣٧ منهم عادوا إلى مواقعهم ليعلنوا تمردهم في تومبكتو، وقد حصل ما هو أشد من ذلك.

فبعد ما أعلنوا أن واحدا من الشامبا يعدل ٤ من اركيبات لم يعد هناك داع إلى خضوعهم لإجراءات الأمن المفروضة على السودانيين، فخلال مطاردة يقودها رقيب المدفعية *Pehau* باغت فريق منهم الغزاة وهم يسرحون مطاياهم فتجنبوا إطلاق النار عليهم مباشرة ورفعوا تقريرا بذلك وانتظروا أمرا بإطلاق النار.

واقترب المطاردون وباشروا الهجوم ب ٢٠ جزائريا، وخلال بضعة كيلومترات أعلن العديد منهم أنه مريض وادعى البعض منهم أن مطاياهم على وشك السقوط وتوقفوا، فوجد رقيب المدفعية نفسه قد ذهب ب ٢٠ رجلا ولم يعد معه فورا إلا عشرة فيجب أن تتوقف المطاردة.

"إن هذه القضية لا بد أن تعطي انطباعا مرهقا في البلاد، فالسكان الأصليون مثلنا كانوا قد رحبوا بقدوم الجزائريين وكانوا يصفونهم بالشجعان ويذكرون مآثرهم، وكنا نعتقد أن مجرد وجودهم في البلاد كاف في جعل الغزاة الأشد جرأة يتوقفون. وأننا سوف نتنفس جوا أكثر حرية بعد التهديد بالغارات المستمرة. وها نحن رأينا أن هؤلاء الناس لا يقدمون أية مساعدة، بالعكس إنهم

يشكلون خطرا، بيد أن مثالهم السيئ يوشك أن يتسرب إلى المساعدين في كتائب الجمالة الأخرى[1].

والكتيبة الجزائرية البدوية يجب أن تحل وأن يعود الشامبا إلى الشمال، إنه الإخفاق الأشد إغضابا في وقت نحن بحجة إلى دعم مراقبة تخومنا أكثر من أي وقت آخر. إن الطريقة المحزنة لاكتتاب هذه الكتيبة ـ فيما يبدو ـ كانت السبب في فساد التنظيم برمته، ومع ذلك فإن هنالك مصلحة كبرى في ضمان نجاح هذه التجربة بكل الوسائل.

يبدو أنه من الحزم ـ كما قلنا ـ الاحتفاظ بالنسب الحالية في تشكيل وحداتنا الجمالة في موريتانيا؛ ثلث للعنصر البدوي أو الأبيض وثلثان للعنصر السنيغالي أو الأسود.

ويجب أن نعير اهتماما خاصا لاكتتاب هذين العنصرين.

ولنتجنب في ما يخص البيضان أن نكتتب شبابا صغارا، ولنجتهد في التمكن من اكتتاب حرس من سن معينة ذوي تجربة، ويفضل أن يكونوا قد شاركوا في إحدى الغارات وكان أداؤهم متميزا بحسب الإمكان. فالشرط الأساسي للحصول على نتائج هو الحصول على قائد جيد للقوم، وذلك ما يجب أن نتعلق به قبل كل شيء.

إن البيضان من خصائصهم الذاتية والشخصية أن قيمتهم بحسب القائد الذي يقودهم وليس القائد الذي يفرض عليهم. ولكنه القائد

---

(1) تقرير المندوب الملازم حاكم تمبوكتو

الذي يعترفون له بذالك طواعية، لأنه من نفس أصولهم وكان قد أعطى مثالا على قيمته. إن قضية العنصر والطائفة ذات أهمية كبرى لدى البيضان، ونحن ملزمون بأخذها بعين الاعتبار، فالحرس يجمعون حسب أصولهم ويعين عليهم رجال من كبار عائلات قبائلهم دائما في حدود الإمكان. وأخيرا فإن الانضباط الذي يخضعون له والعقوبات التي تطبق على الاخطاء التي يرتكبونها، كل ذلك يجب أن يكون مستوحي من طابعهم الاستقلالي، وانطلاقا من قصر المدة التي قضوها في خدمتنا نسبيا، ومن هذا المنطلق فإنه لايمكن أن تطبق عليهم القواعد المطبقة على الرماة. واختيار هؤلاء الاخيرين (الرماة) يجب أن لا يكون أقل عناية.

فقبل كل شيء من الواجب أن لا يختار لخدمة الجمالة إلاالرماة المتطوعون، فالحياة البدوية في الأقاليم الصحراوية مختلفة تماما عن تلك التي ألفها االأسود، بحيث لا يمكنه التأقلم معها ولاتقديم خدمات حقيقية إلا إذا رضي بذالك طواعية. ومن هذا المنطلق فإن العناصر التي أعطت نتائج جيدة هي تلك التي سبق أن عرفت الصحراء والجمل، بسبب مجاورة أقاليمها الاصلية لها: مثل توكولور والفلان والوولف.

يجب أن يتم اختيارهم من بين الرماة الأشد خفة ومرونة ولباقة في التصرف والتدبير، وأن يكونوا أناسا صالحين، وهذه الميزة الأخيرة تعتبر خاصة لا غنى عنها في الصحراء بسبب العزلة والتعب والحرمان الذي يجد المرء نفسه أمامه.

وأخيرا وهذا أمر أساسي، يجب أن لا يختار الرماة الجمالة إلا من بين أولئك المضرسين على الحرب، والذين بإمكانهم قضاء المدد الطويلة في التخوم، بيد أنه يجب أن لا نعد أقل من سنة لإكمال مرحلتهم التدريبية وتأقلمهم مع الصحراء.

بقي لنا أن نتناول بالتحليل موضوع تأطير وحداتنا الجمالة، وسننظر إليها من وجهتي النظر المزدوجة ،من حيث الأعداد ومن حيث المهارات.

فالأعداد الحالية من الواضح أنها غير كافية. فكتيبة آدرار التي هي في حالة استنفار دائم، والمكلفة بضمان خدمة أمنية حطيرة جدا ليلا ونهارا خارجا عن عملياتها النشطة، وهي فوق ذلك معرضة لمواجهة هجومات من الغزاة المجهزين بمئات الأسلحة ذات الطلق السريع، هذه الكتيبة لا تتوفر في تأطيرها من الأوروبيين إلا على ضابطين وضابطي صف، بينما تتألف سرية القناصة ذات عدد مماثل تقريبا تتولي حامية في سان الويس وابودور وحتى على كثيب بوتلميت من ٣ ضباط و٩ ضباط صف[1].

ولكنه ربما يكون البحث عن زيادة المهارات أكثر من أعداد المؤطرين أشد ضرورية، وقبل كل شيء يجب التوجه إلى جعلهم متخصصين.

---

(1) عدد السرية الصحراوية في الصويرة ٣٩ فرنسيا(٦ ضباط و٣٣ رجل فرقة منهم ٦ قنلصة و٢ سلاحيون) و٣٣٨ من السكان(٧١ فارسا و١٦٨ جمالا و٤٩ من المشلة و٥٠ مخزنيا).

إن الخدمة في الوحدة الجمالة تختلف كليا عن تلك الخدمات التي تعود عليها المؤطرون في غيرها، إن المعارف التي تتطلبها مهنة المحارب المبشر من الجدة والتعدد بالنسبة للضباط وضباط الصف المبتدئين في الأقاليم الصحراوية بحيث أن إقامة أولى من ستنين لاتكاد تكون كافية لإكمال عملية التدريب لديهم.

خلال الإقامة الموالية فقط يصبحون متمكنين من هذه المعارف الخاصة، ومن الخبرة في الصحراء، مما يمكنهم ربما من أداء الخدمات التي من حقنا أن ننتظر منهم. يجب إذن خلق تيار من المتطوعين الراغبين في التخصص في خدمات الجمالة، ولهذا فإنه من الضروري منح بعض المزايا المعنوية والمادية لمؤطري هذه الوحدات الذين يعتبر وجودهم شاقا ومليئا بالمخاطر.

فما دمنا لم نحقق جعل مؤطري الجمالة مختصين يجب أن لا نطمح للحصول على نتائج مرضية.

يجب أن لا ننسى أن نجاحاتنا الأولى في موريتانيا كانت بسبب كتيبة من الجمالة المحنكين، من أمثال *lesBablon, les Mangin,* *les Repoux, les Frèrjean* وكثير آخرون استطاعوا أن يحصلوا على معارف معمقة حول الصحراء والشروط الخاصة للوجود والحرب في هذه البلاد. وليس ذلك فقط ولكن أيضا الخبرة الضرورية لقيادة المساعدين البدو وصيانة هذا الحيوان المعقد الذي هو الجمل، وذلك بفضل إقاماتهم العديدة في الأقاليم الصحراوية.

لم نعد الآن للأسف نتوفر على أمثال هؤلاء:

وقد كان لفترة الحرب التي غيرت التقاليد ـ وربما بعض المهمات الأخرى ـ تأثير مغضب من هذه الناحية.

إنه من المستعجل أن نبعث مهمات جديدة وأن نعيد تكوين سلك من الجمالة المحترفين، وإجراء عدد من التدريبات للضباط الشباب وضباط الصف في الفرق الاستعمارية في السرايا الصحراوية لإفريقيا الشمالية يمكن أن يعطي من هذه الناحية نتائج جيدة، من خلال توسيع دائرة أبحاثهم ومعارفهم، وجعلهم يقارنون بين الطرائق المستخدمة في أحد طرفي الصحراء، وسيكون من المفيد من هذه الناحية أن يكون هؤلاء الكوادر قد أدوا الخدمة في إحدى وحدات الجمالة في جنوب الصحراء قبل تدريبهم، فسيجنون من إقامتهم داخل التشكيلات الجزائرية فائدة كبرى لأنهم طبعا من شأنهم أن يعمقوا أكثر دراسة أوجه الاختلاف الملاحظة.

ومهما يكن من أمر فإن كوادر الجمالة يجب أن يتم اختيارهم بعناية، وأن يقدموا من الناحية الجسمية والمعنوية ضمانات ضرورية.

نشاط وجلد جسمي؛ طاقة واتزان وتعقل؛ اهتمام دائم بالتفاصيل ومراقبة بدون فتور؛ تلك هي الصفات التي يجب أن يتصف بها مؤطروا الجمالة. بيد أنه بالنسبة للعمليات التي تجرى في

البلاد الصحراوية أكثر من غيرها تصبح اليقظة والسرعة في اتخاذ القرار والصلابة في التنفيذ شروطا لا غني عنها للنجاح.

وقبل كل شيء يجب تفادي المباغتة، فالمفرزة التي تعرض نفسها للمباغتة سيئة الحظ، وتدفع غالبا ثمن عدم يقظتها بالقضاء عليها بالكامل. فقواد وحدات الجمالة يجب عليهم الآن أكثر من أي وقت آخر السهر على أمنهم ليلا ونهارا، دون خلل لأنه أعلن عن خطة جديدة للغزاة تتمثل في اختطاف المراقبين عن بعد حتى لا يتمكنوا من إبلاغ رؤيتهم، وذلك بواسطة فرسان يصطحبها هؤلاء الغزاة معهم.

يقال أن ضابط الجمالة هو قائد المناصرين. ليس هذا صحيحا بالكامل فقائد المناصرين مع ذلك يجب أن يمتلك بعض الميزات: صبر؛ مبادرة؛ نشاط. وهو مثله يجب أن يتحرر من الروتين والأحكام المسبقة ولا يخاف من المسؤوليات.

يلزمه أن يكون محبا للحياة في الفضاء الرحب ـ دون الاهتمام بأي من وسائل الراحة ـ ويقضى المدة الطويلة ولا متاع معه ولا أثاث غير خيمته وحقيبة سفره ويتكئ على الأرض ولا يملك لاتقاء حر شمس محرقة سوى سقف رقيق ولإرواء عطشه يشرب ماء مالحا مسهلا (............) ويطهو الأرز والمعلبات المرشوش عليها بوفرة من الحصباء غالبا عندما تهب الرياح المحملة بالأتربة كقاعدة لغذائه.

وهو دائما منعزل لوحده معرض لألف خطر من مخاطر الصحراء في خدمة أمن فرقته وأمن المواطنين الذين تعهد لهم بذالك ضمانا لصيانة مطاياه بفضل العلاجات الدقيقة اليومية جاهلا التعب. لا يأبه للحرمان ولتوظيف قدراته المعنوية والجسمية في كل حين؛ إنها مهنة صعبة ولكنها مليئة بالمفاتن حيث توجد فرص التميز بوفرة.

إن الحياة التي يعيشها الجمال حياة الراعي والمحارب لا يمكن مقارنتها بأي شيء آخر، هذا الوجود القاسي والبسيط يتطلب قوة كاملة وحيوية الشباب.

وبالرغم من أو على العكس بسبب إزعاجها ومتاعبها ومخاطرها فإن هذه الحياة غالبا ما يطلبها بحماس أصحاب الطباع الصبورة وأصحاب الأريحية الذين يتذوقون النشاط والمخاطر والمسؤوليات والمتلهفون للتحرر من الإطار الشكلي وتعقيدات الحياة المعاصرة، وذلك من أجل اختبار الطباع في التقييم لمتمدن من واحد من القرن العشرين، عندما يجعل في مشهد مناسب للحياة البدائية لمعاصري إبراهيم(عليه السلام).

ويمكن أخيرا أن نتساءل عما إذا كانت المفرزتان الجمالتان في آدرار والمكلفتان بضمان الأمن من الأطلسي إلى الأبيار الشمالية على امتداد يناهز ٨٠٠ كلم تكفيان هذه المهمة، وعما إذا كانت أعداد هذه المفارز البالغة ١٧٠ بندقية كافية لمواجهة هجومات العصابات التي تزداد شيئا فشيئا مع خظ إكيد، بنجاعة.

فيما يخص الأعداد الحالية لوحدات الجمالة، فإنها تعتبر الحد الأدنى الذي يجب أن نحافظ عليه بالدوام مكتملا، بل إنه من الحزم في بعض الحالات تعزيز المفرزة أو جعلها تنتجع متجاورة مع المفرزة الأخرى.

ومع ذلك فإن تجمع المفارز تعترض طريقة غالبا عقبات كأداء بسبب النقص في موارد الماء والمرعي التي يتطلبها هذا التجمع، بيد أن قضية المرعى يجب أن لا تنسى أنها حاسمة في حياة وحداتنا الجمالة.

يبدو أن أمثل حل يتمثل في زيادة عدد المفارز الجمالة في آدرار، من ٢ إلى ٣ وستكون الثالثة بانواذيبو مما يمكن أكثر من ضمان أمن الجهة الواسعة التي لا تصلها فرقنا البدوية، والقيام بمراقبة جد فعالة لمناطق الشاطئ مصب وادي الذهب التي يجوبها الغزاة، ويمكن هذا الإجراء أيضا من تجميع مفرزتين في منطقة واحدة عند الضرورة، دون أن نترك جزءا من البلاد خاليا وحرا لمرور الغزاة بهدف التخفيف من النفقات. وهذه الزيادة في فرق التغطية في التخوم والتي أصبحت ضرورة لا مفر منها سيصحبها تخفيض مناسب في أعداد الوحدات في الداخل. وإنشاء موقع لدى كدية الجل كقاعدة لقوة بدوية مهمة؛ ألا يحسن من الوضعية؟

وسيعمق كثيرا خط التموين، وإذا لم يكن هناك شك في أنه سيمكن أكثر من رقابة الغزاة نحو الشرق، فإنه مع ذلك لن يحول بينهم وبين الهجوم على مفارزنا كما كانوا يفعلون منذ عدة سنوات.

وفضلا عن هذا فأي نشاط يمكن أن تقوم به وحدة جمالة معلقة في وداي الذهب، حيث يستحيل عليها التوغل في المنطقة الفاصلة بين سبخة الجل والمحيط، فالغزاة ستكون لديهم كامل الحرية في التجوال حسب رغبتهم، في هذا الممر العريض المحمي والذي يشكل بالنسبة لهم إقليما إسبانيا، والقيام بحملات نهب في الجنوب في منطقة خالية من الجمالة. وأخيرا سيبقي في الشمال ما يقارب الألف كلم صحراء حرة كافية لتمكين الغزاة من البقاء في مأمن من هجوماتنا، والحصول على مراتع ضرورية لصيانة قطعانهم الكثيرة في حالات استثنائية.

إن إنشاء موقع الجل الذي يبدو سابقا لأوانه في الوقت الحالي على العكس، سيوفر مزايا مؤكدة عندما يصبح الطرف المغربي من الصحراء محتلا من قبل وحداتنا الجمالة. سيشكل حينئذ الجل المرحلة الأخيرة من توغلنا في موريتانيا، مما يمكن من تسهيل الربط مع الفرق البدوية في الشمال.

VI القيادة الصحراوية الموحدة

بقي لنا أن نتفحص المشروع الذي يتم بحثه الآن كثيرا؛ مشروع تجميع كافة أقاليمنا الصحراوية تحت قيادة واحدة.

هذا الإجراء الذي يبدو من النظرة الأولى مغريا بسبب تسهيله لتنسيق كافة الجهود من أجل هدف مشترك، يجد مناصرين له ومقتنعين به. والدراسة المعمقة للقضية تظهر مع ذلك أنه تعترضه مشاكل مادية ولديه سلبيات تجعله غير فعال إن لم يكن مضرا.

لنفرض أن هذا المشروع أنجز، وأن قائدا أعلى للأقاليم الصحراوية استقر في مكان ما في الصحراء المركزية، في عين صلاح مثلا، بأي وسيلة سيتمكن من الإشعار بنشاطه على امتداد هذه الأراضي الواسعة الخاضعة لسلطانه؟: فقط عن طريق *TSF*

وهذه الوسيلة الوحيدة للقيادة يوجد هوائيها في الريف، ولا يمكن للقائد أن يغادر موقع القيادة تحت طائلة الغيات التام عن نشاط الأحداث، وفضلا عن ذلك كيف يمكنه الادعاء بأنه سيزور هذه الأقاليم الواسعة الخاضعة لقيادته؟ فهي تمتد من الشمال إلى الجنوب زهاء ٢٠٠٠ كلم ومن الغرب إلى الشرق زهاء ٤٥٠٠ كلم. فالقيادة ليست فقط أن تجيد التوقع ولكن أن تعرف الواقع أيضا. يجب على القائد إذن أن يمارس قيادته من مكتبه بواسطة إرسال برقيات لاسلكية وذالك ما لا يمكن أن يعطي نتائج مرضية مهما تكن معرفته بقضايا الصحراء.

والربط المبسط للعمليات العسكرية لا يمكن تنظيمه عن بعد وخاصة في المناطق الصحراوية، حيث لا تتوفر كافة المعطيات المادية والمعنوية ذات التأثير الأساسي على مسيرة العمليات عند قيادة بعيدة. وأخيرا يبدو أنه من الضروري أن تظل القيادات المحلية في التخوم الصحراوية تابعة للأقاليم التي يكلفون بتغطيتها، لأنهم وحدهم القادرون على تموينها بسرعة بالإمدادات التي قد يحتاجونها والتموينات من مختلف أنواعها.

بيد أن المصلحة الكبرى لأقاليمنا الصحراوية ليست في هذه الأقاليم ذاتها، فمنبعها في الحماية التي توفرها هذه الأقاليم للمستعمرات المجاورة لها. فإننا لم نذهب إلى الصحراء للاستفادة من هذه الأراضي الشاسعة العقيمة، ولكن من أجل أن نجعل الأقاليم المجاورة لها والأكثر غناء في مأمن من الغزاة.

وإذا نظرنا من وجهة نظر النفقات التي تسببها للوطن الأم ممالكنا الاستعمارية المختلفة، فإنه يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار بأن تجميع أقاليمنا الصحراوية ستكون له ميزانية مستقلة. ولن تكون لديه إلا موارد ضئيلة من شأنها أن تخصم من النفقات الناجمة عن الاحتلال العسكري، وسيكون عبئا ثقيلا.

يبدو في المقابل أنه من العدل أن تتحمل كل مستعمرة قسطها من النفقات الناجمة عن احتلال أقاليمها الفقيرة مقابل الأمن الذي سيوفر لمناطقها الإنتاجية.

وفضلا عن هذا فإن تجربة القيادة الصحراوية الممتدة قد تمت محاولتها منذ عدة سنوات، ولن نفعل أفضل من أن نعرض وجهة نظر لمن كلف بها والذي لا جدال في جدارته وسلطته فيما يخص أمور الصحراء الجنرال *Laperrine* : "قررت اللجنة الوزارية أن تضع تحت قيادتي إقليما واسعا. وقد مارست هذه القيادة بتفويض لحكام عامين في الجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية والمقيم العام في تونس.

"عندما أردنا أن ندرس هذا التنظيم بالتفصيل لا حظنا أنه ينطوي على عيوب أساسية.

"كانت قيادتي في الواجهة نوعا ما.

"لضمان أمن هذه الأقاليم الشاسعة، كنت أتوفر على مواقع متقدمة صحراوية من كل مستعمرة، ولكن لم يكن لدى أي نشاط في هذه الأقاليم والفرق المكلفة بتموينها بالرجال والذخيرة والغذاء والنقود إلخ... ودعمها عند الحاجة...

"كانت تنقصني وسائل الاتصال السريع لأرتبط بمختلف أجزاء هذه القيادة...

كنت أترك حرية المبادرة وأمنح ثقتي لمأموريي المباشرين، كان تصرفي غالبا معهم أنفسهم عن طريق الأوامر أو النصائح وربما بالتهانئ أو بالملاحظات".

"اعتقد بعض القواد بأنه بفضل *TSF* أصبح بإمكانهم ممارسة القيادة للعمليات الصحراوية بالتفاصيل، وترتيب التعاون بين الفرق المشتتة في عرض المئات من الكلومترات، وذلك من مكاتبهم.

كان يجب عليهم أن ينتبهوا إلى أن هذا النظام يستحيل تطبيقه في الصحراء، وهو غير جيد في غيرها لأن المعنيين به لا يوجدون في عين موقع *TSF* ولكن علي بعد ٦٠ أو ١٠٠ كلم من أقرب هذه المواقع وأحيانا ٢٠٠ كلم.

"فلم يفلحوا إلا في تعطيل فكرة المبادرة عند مرؤوسيهم وكانت النتائج مؤسفة"

" والتنسيق المطلق للعمليات مع اتباع نظام حركات منتظمة، ومواعيد يومية محددة إلخ. . . كل ذالك غير ممكن.

" في مسافات الألف كيلومتر أو ١٥٠٠ كيلومتر يكون تحديد خطوط السير وسير فرق الأمن تبعا لظروف متعددة لا يمكن تقديرها عن بعد: حالة المطايا، نقاط الماء، المراتع إلخ...

" وفضلا عن ذلك فإن الهدف غالبا ما يكون إما مجموعة من المخيمات أو غارة من الغزاة. فإذا غير المخيمات مراتعهم أو بدل الغزاة خط سيرهم أو خففوا من سرعتهم المفترضة، فإن كافة الترتيبات الجيدة تسقط في الماء.

" زد على ذلك أنه ميدانيا فقط يمكن أن نعرف حقيقة الطريقة التي بها تم تنفيذ الأوامر والنتائج التي تم الحصول عليها والحاجات الفعلية للفرق والسكان.

" إن من يريد تقييم كل شيء انطلاقا من مكتبه يظل تحت رحمة التقارير التي تحرر بصورة جيدة نوعا ما.

فبعد حادثة مؤسفة، يمكن لأي مهرج يجيد الكتابة أن يحصل على تهانئ، كما أن شابا شجاعا خجولا من إخفاقه لا يتردد في إعلان توبته، يمكن أن يقتل.

إن قائد أمن منطقة صحراوية معينة يجب أن يكون تابعا لقائد إقليم المنطقة التي يغطيها، وهذا لسببين اثنين: أولا القائد وحده الذي يملك الوسائل الضرورية لتموينه بالرجال والمطايا والأغذية والذخيرة، ويمكنه عند الاقتضاء دعمه. ثانيا، الهدف من الأمن الصحراوي ليس فقط حماية الصحراويين الرحل، ولكن أيضا ـ وأقولها خاصة ـ أمن القرويين.

" وللوصول إلى هذا الهدف يجب أن يكون هناك تنسيق مطلق بين الأمن الصحراوي المكلف بالأمن البعيد والفرق المكلفة بالحماية المباشرة للسكان، وهذا التنسيق يعتبر أيضا أكثر ضرورية من التنسيق بين مختلف الفرق فيما بينها.

"يبدو أنه من المستحيل إنشاء قيادة موحدة للأمن، وإذا كنا نرغب في إنشاء مثل هذه القيادة يجب أن نضم المناطق والأقاليم

المتجاورة في الصحراء، وذلك ما يشكل مستعمرة من نوع ما، ولكنها مستعمرة بدون خطوط اتصال تابعة مطلقا للمستعمرات المجاورة، بدون ميزانية كافية، جهاز من الأعباء غير قابل للاستمرار ولا أنصح به."

" إنه لا يمكن تنظيم عمليات مرتبطة في الصحراء الواسعة، إن المطلوب هو قيام تعاون دائم بين كافة عناصر الأمن المتجاورة في الصحراء، هذا التعاون الذي يجب أن يكون بصورة عفوية إذا أريد له أن يكون حقيقيا، وأن يصدر بمبادرة من قواد الفرق وقواد المناطق والأقاليم.

" إن دوري من جهة هو دور المستشار الفني الذي يعطي الأوامر حول الإجراءات الأمنية التي يجب أن تتبع في الصحراء من أجل توحيد المناهج، ومن جهة أخرى دور المفتش الساهر على مراعاة قواعد التنسيق من قبل الجميع ملفتا انتباه القواد إلى ما يحصل من إهمال وأحيانا من نقص في المبادرة، وموجها إياهم عند الاقتضاء للعمل الذي من شأنه علاج حدث ما إذا سمحت الظروف المحلية بذلك.

" عندما تنصهر هذه المناهج التنسيقية في طبيعة الجميع فإن قيادتي يمكن إلغاؤها، ولكن يجب أن نضاعف الحذر في كل مستعمرة من أجل تفادي طغيان الأنا والفردية وحتى لا تتعرقل المبادرة التي تلعب دورا أساسيا في الأمن الصحراوي.

كان الجنرال *Laperrine* إذن نفسه مناصرا لفكرة إلغاء قيادته، بشرط أن تظل مناهج التعاون التي ذكر متبعة.

والحال أن هذه المناهج دخلت الآن في التطبيقات، فالربط بين الصحراويين في الشمال والجنوب أصبح أكثر من أي وقت مضى، والنزعة الفردية كانت واقعا معيشا والبرقيات اللاسلكية تجوب الصحراء في كافة الاتجاهات، والوثائق المهمة من أي طبيعة كانت يتم تبادلها غالبا كلما كان ذلك ممكنا بواسطة البريد الخاص، وتوجيهات الجنرال انتشرت في كل مكان ويستوحي منها الجميع.

فليس من المناسب إذن تكرير التجربة التي تمت والتي قيمت من قبل من هو ـ ويجب أن نقولها ـ وحده القادر فيما يبدو على محاولتها. فمعرفته التي لا نظير لها بالصحراء وعادات سكانها وعقلياتهم، وتحريك الفرقة الخاصة العاملة فيها ونجاحاته المتواصلة في المجال السياسي والعسكري، معا، كل ذلك يعين هذا الصحراوي العجيب لمهمة متعبة كهذه، حيث تضاف المشاكل المادية إلى المشاكل المعقدة المتعلقة بالاختصاص.

فمن ذا الذي بإمكانه أن يدعى معاودة هذه التجرية بتوسيعها، مع أن القيادة التي وكلت إلى الجنرال *Laperrine* لا تضم إلا جزءا من الصحراء، الجزء الأوسط ولا تشمل موريتانيا ولا *Borkou* ولا

Ennedi[١] تاركة جهة من الأقاليم يعد نشاطنا فيها الأصعب والأهم في نفس الوقت.

وقد كانت هذه القيادة ذات طابع مؤقت، إذ أنشئت خلال الحرب (يناير ١٩١٧) تحت ضغط الأحداث من أجل وضع حد لاضطرابات الطوارق والسنوسيين؛ هذه الاضطرابات الناجمة ـ خاصة ـ عن الأحداث الخطرة التي حصلت في أكادس[٢] التي كادت تمتد إلى كافة الصحراء المركزية لو لم ننتبه إليها.

فجاء هذا الإجراء الخاص استجابة لوضعية خاصة، وليس من شك في أنه يجب أن يحدث نفس الشيئ في المستقبل، وأنه على سبيل المثال عندما يبلغ المغرب جبهاته الصحراوية يمكنه إنشاء قيادة مؤقتة للصحراء الغربية مثمرة من أجل نشر السلم في تلك الأجزاء من الصحراء.

---

(1) **إن سلطة القائد الأعلى للأقاليم الصحراوية تمتد :**

في الجزائر إلى ملحق بني عباس وملحق تيمومون وموقع آدرار ومناطق الواحات الصحراوية؛ دوائر الشاردية والتوكورت وملحق الواد.

و في تونس إلى الأقليم الصحراوي للوصاية الذي تم تعريف حدوده الشمالية بمذكرة من وزير الحرب بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩٠٧ والمعدلة بتاريخ ١٣ مارس ١٩١٣

وفي إفريقيا الغربية الفرنسية إلى الاقايم الصحراوية التي يحدها جنوب الخط المنطلق من تخوم موريتانيا ويشمل بمبا، كاوو، تاهوا، دائرة أكادس بيلما وزوار(القرار الدولي المتعلف بإنشاء قيادة مؤقتة للأقاليم الصحراوية)

(2) تمت محاصرة أكادس من يوم ١٣ دجمبر ١٩١٦ إلى يوم ٣ مارس ١٩١٧ من قبل حركة سنوسية قوية تملك مدافع ثقيلة ويقودها خاوسن Khaoussen

يبدو أنه يمكن أن نجزم بأنه لا توجد قضية واحدة تهم كافة أقاليمنا الصحراوية، ولكنها قضايا عديدة صحراوية محلية لا تأثير لإحداهن على الأخرى، ويجب أن تحل كل واحدة على حدة بوسائل محلية خاصة.

فالصحراء حقيقة تنقسم إلى ثلاثة أجزاء منفصلة تماما، ففي الوسط المنطقة التي يمكن للقائد الأعلى ـ بدون شك ـ أن يتصرف بفعالية فيها، ولكنها المنطقة التي دخلت في السلم منذ زمن بعيد والتي لم يعد لديها إلا ذكريات بعيدة عن الغارات، لأنها الأقل سكانا والأشد فقرا ولا يهتم بها الغزاة إلا قليلا، لأنهم لا يجدون فيها ما ينهبون.

وفي الشرق على العكس من ذلك بين فزان وإقليم النيجر، وفي الغرب خاصة بين المغرب وموريتانيا؛ هذه المنطقة يجوبها الغزاة مما يبدو أنه يستوجب قيادة مقربة بسرعة ومطلعة بدقة لاتخاذ القرارات المناسبة في عين المكان ودون تأخير.

وبكملة واحدة لا توجد مشكلة تعني السلم تهم الصحراء بكاملها، ولكن هناك مشكلة كبرى محلية تعني السلم في الصحراء الغربية، إذا تم حلها لن يبقي إلا قضايا تفصيلية يمكن أن تحل[1].

---

(1) إن قضية الفزانيين الأقل عددا والذين هم فى مناوشات مع الإيطاليين الـذين يتقـدمون نحو الجنوب وقضية السنوسيين في ليبيا لا يمكن أن تقارن بقضية السكان المنشقين في جنوب المغرب.

فالجزء الشمالي من الصحراء يضم فعلا سكانا منشقين يقدرون بزهاء ٣٠٠,٠٠٠ نسمة، ومن هنا تنطلق الغارات الكبرى التي تنهب تخومنا الجنوبية حتى تتجاوز تومبكتو. إنه هنا المجهود الكبير الذي يجب أن يبذل؛ هذا المجهود الذي يعود الجزء الأكبر منه على المغرب.

وإذا فهمنا "الرغبة الجزائرية" لدى هؤلاء الصحراويين لجزائريين الذين يملكون الوسيلة الأكثر ملاءمة للصحراء، والذين لم تعد لديهم حاجة لاستخدامها عندهم والمتلهفين للتدخل لدى الجار، والمتجهة نظراتهم نحو وادي درعة، نفهم بنفس المستوى من التحفظ الحذر لدى المغرب اتجاه تقدمنا.

"بالنسبة لنا، فإن قراءة هذا التقرير المهم(ملف حول التوغل الصحراوي منشور أخيرا من قبل الجزائر) لن تفيد أكثر من إبراز الفوارق العميقة التي تجعل من صحرائنا المأهولة نسبيا شيئا مختلفا تماما عن الصحراء الجزائرية، حيث تصل العزلة إلى أشدها وحيث تنتقل الفرق المستقلة والمؤلفة من ٥٠ فردا بسهولة تجعلنا نتساءل عما إذا كان يوجد كائن حي ينافسها في هذا المكان.

"وفي تخوم الدائرة الجنوبية، تختلف الوضعية تماما؛ إنه المغرب نفسه الذي تجاوز الأطلس من فوق ناشرا حتى وادي درعة على طول ممر الماء الخصب نسبيا شعبا يفوق ٣٠٠٠٠٠ نسمة من البربر المغاربة بكل الميزات القتالية لهذا الجنس".

"لا يسعنا إلا أن نرفض بكل أسف تعاون بعض الجمالة الجزائريين، هذا التعاون الذي لم تكن له قيمة إلا رمزيا، بل كان يمثل بالعكس كل مخاطر التهور البطولي وغير المفيد".

وفي تحليل آخر فإن دور القائد الأعلى للأقاليم الصحراوية لا يبدو أبدا أنه يتصور إلا دورا مثل دور وكيل مركزي للاستخبارات، لأن مقره سيكون لزوما خارج منطقة العمليات، أو دور مستشار فني يعطي الأوامر ويحاول توحيد المناهج.

بيد أنه ـ كما ذكرنا سالفا ـ فالمعلومات يتم إيصالها حاليا بصورة عالية، وأما الأوامر المتعلقة بالسياسة المتبعة وطريقة سير العمليات في المناطق الصحراوية فقد تم تحديدها مع السلطات التي عرفنا من قبل الجنرال *Laperrine*.

فعلى كل واحد أن يوائم القواعد العامة مع ظروفه الخاصة بالزمان والمكان التي لا يمكن تقديرها إلا من قبل سلطة محلية وحدها.

خلاصـــــــــــــة

وكخلاصة يجب أن نعتقد أنه منذ ١٩١٩ تاريخ استقرارنا في آدرار، فالوضعية السياسية للتخوم الموريتانية بالرغم من كافة مجهوداتنا لم تشهد إلا تقدما يسيرا، فالقبائل الشمالية الذين لم يقبلوا حتى الآن الاعتراف بسيادتنا لا يزالون مستقلين، وعمليات النهب لا تزال كثيرة، ومنذ سنوات عديدة أصبح أصحابها أكثر جرأة من ذي قبل، وأصبحت توحي بفكر معارض بشدة.

إن هذه الوضعية تستحق منا انتباه خاصا، ذلك أنه لا شك في أن قوة أعدائنا ـ والذين يملكون أسلحة ذات طلق سريع وذخائر بكميات كبيرة حاليا ـ أصبحت تفوق قوتهم في الماضي. وفضلا عن ذلك فإنهم لا يتمتعون ـ كما كانوا في الماضي ـ بتواطئ بعض السكان الخاضعين لنا فقط، ولكنهم مع ذلك يتوفرون اليوم على عدد مهم من مساعدينا القدماء الذين انشقوا والذين هم على علم تام من طريقتنا في التصرف، ومناهجنا في الحراسة والمعركة، ويفيدونهم في الإرشاد والتوجيه في عملياتهم الهجومية ضد مفارزنا ومواطنينا، والنجاحات التي حصلوا عليها تحت قيادة المنشق وجاهة تعتبر دليلا لا نقاش فيه.

وأخيرا فالهجوم الأخير لعين لكدم والتحريضات التي تستهدف الصحراويين في جنوب المغرب، لا يمكن إلا أن تزيد مشاعر التمرد.

وأمام وضعية مشابهة كهذه فنحن ـ حاليا ـ مضطرون إلى اتخاذ مواقف دفاعية بحثا عن التحسين الوحيد الممكن، من خلال تعزيز وسائلنا المحلية التي نملك وهي وضعية لا تتلاءم كثيرا مع الاهتمام بكرامتنا وهيبتنا اتجاه الشعوب المسلمة.

إن الإجراءات التي يجب أن تتبع لعلاج هذه الوضعية الحالية بصورة نهائية ذات طبيعة عامة؛ إنها تعني كافة تخومنا، وعليه فإنها يجب أن تكون موضع قرارات مشتركة بين إفريقيا الشمالية وإفريقيا الغربية الفرنسية.

ففي خطابه الذي ألقاه في دكار يوم ١٨ إبريل ١٩٢٤ في جلسة افتتاح مجلس الحكومة، قدم *M.Carde* الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية عرضا سريعا حول الجهود التي ستبذل من أجل تضييق شبكة المراقبة، مما يمكننا من مجابهة هجمات الغزاة بفعالية.

ومن أجل تقليص متدرج لهذه المجموعات المتمردة الأخيرة، التي تفلت من نفوذنا بفضل تواطئ اتساع النطاق وصعوبة المواصلات والاتصالات وتوصيل المعلومات التي يتم الحصول عليها، فإن الحكومات العامة لغرب إفريقيا التي تتاخم أقاليمها الصحراء سيشاركون ابتداء من ١٩٢٥ في المؤتمر الشمالي الافريقي التشاوري حول سياسة جامعة مستندة على كل القوى المعنوية والمادية التي تملكها.

وقد تم البدء في تنفيذ محاولة تنظيمية أكثر ملاءمة للمشكل الأمني الذي يعنينا، وذلك بواسطة وضع كتيبة من الشامبا موجهة لدعم عناصرنا الحالية، وتشكيل نواة لتشكيلات جمالة مؤلفة من البدو الكوادر المتخصصة وحدهم تحت تصرف إفريقيا الغربية الفرنسية. إن الإخفاق المغضب لهذه التجربة يعيد إلى الذهن الحديث عن المشكل الصعب في إنشاء وحدات جمالة مؤلفة من البدو وحدهم في التخوم الجنوبية، وهو المشكل الذي لن يتناول إلا بكثير من الحذر.

إن إنشاء قيادة موحدة للأقاليم الصحراوية مماثلة لتلك التي أسندت قديما للجنرال *Laperrine* ولكنها شاملة لجميع الأقاليم الصحراوية، لا يبدو أنها مزمعة بسبب المشاكل الكثيرة التي تعترض إنشاءها وعدم التأكد من نتائجها التي يمكن أن توفر.

يجب أن لا ننسي حقيقة أن المشكل الصحراوي الأساسي، أي مشكل السلم في الجزء الغربي من الصحراء هو مشكل مغربي قبل كل شيء، ولا يمكن أن يجد حلا في البداية إلا بواسطة نشاط محلي حذر ومتزايد، ويتطلب استخدام كثير من الوسائل.

وأخيرا، عندما يتجاوز الاحتلال المغربي الأطلس، وتحتل الفرق المتنقلة منطقة وادي درعة، ويتم تنسيق الجهود مع وحدات الجمالة في موريتانيا والجزائر؛ عندما تحل قضية وادي الذهب؛ فإن السلم النهائي للصحراء يصبح تحصيل حاصل.

إن العناصر التي انشقت أخيرا ستفلت فعلا من نفوذنا مهما يكن من أمر طالما أنهم متأكدون من وجود ملاذ في المنطقة الانتقالية التي تفصل دائرة نشاط وحداتنا المتنقلة في الشمال والجنوب، أو في إقليم أجنبي يضمن لعصاباتهم المسلحة ولمخيماتهم الأمن، فسياسة الحصار المؤسسة على القوة وحدها التي تجعل الخضوع أمرا لا مفر منه.

المرحلة الأخيرة للسلم التي ستكمل على خارطة الصحراء الغربية الفراغ الأخير الذي لم يمكن حتى الآن أن تكتب فيه هذه الكلمات "السلم الفرنسي".